(سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصِر ٢٥)

التَّوبة
وقَصص التوَّابين

جمع وتعليق

محمَّد علي أبو زَهْرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

{ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }

تمهيد

لَمَّا خَلَقَ اللهُ الإنسانَ عَلِمَ – سبحانَه – أنه يضعُفُ في بعض الأحيان فيقعُ في الْمُحرَّمات، ومِنْ رحمةِ الله – تعالى – به أن فَتَحَ له بابَ التوبة؛ فمن تاب بعد ذنبِه تاب اللهُ عليه. ومازال الإنسانُ يعيشُ بين مُقاومةِ المعاصي وحمْل نفسِه على مشقّة العبادِة والطاعة؛ ولو أراد اللهُ لمنع الإنسانَ من المعصية وجعله كالملائكة، ولكنْ خَلَقَه على طبيعتِه يُخطئ ويتوب، وشرع له التوبةَ ليكون مُتوسّطاً بين عدمِ القنوطِ من رحمةِ الله وبين التمرُّد، ولو لم يكن هُناك توبة بعد المعصية؛ لأصاب الإنسانَ القنوطُ وتمادى في معاصيه، ولكن الله برحمته وفَّقه للتوبة فذاق حلاوتها وكانت سببًا إلى كل خير، وفلاح، وطمأنينة وفرح، فإن الله جل وعلا يحب التائب ويفرح بتوبته، ويورثه في قلبه حلاوة، وسعادة، وفرحًا.

هذا الكتاب:

ولأهمية التوبة؛ فقد كتب فيها كثيرٌ من علماء الإسلام قديماً وحديثاً. وقد وقع لي من ذلك كتابان: الأول كتاب "التوبة" لابن أبي الدنيا رحمه الله، جمع فيه كل ما وصله في التوبة من أحاديث نبوية شريفة وأقوال الصحابة والتابعين وبعض قصص التائبين.

والآخر كتاب "التوابين" لابن قدامة المقدسي رحمه الله، استعرض فيه أخبار التائبين، وقصص المنيبين، ممن كانوا في مختلف العصور القديمة والحديثة، من عهد آدم إلى أوائل القرن السابع الهجري، وذكر بعضَ أخبار التوابين الذين أعلنوا التوبة عما اقترفوه؛ من أجل التشويق إلى أخبارهم والترغيب في أحوالهم والاقتداء بفعلهم، فبدأ فيه بذكر توبة الملائكة ثم الأنبياء، ثم ملوك الأمم الخالية، ثم الأمم، ثم الآحاد منهم، ثم أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم، ثم ملوك الأمة، ثم بقية أفراد الأمة.

وقد ألهمني الله – تعالى – أن أعيد نشر الكتابين في كتاب واحد، بعنوان (التوبة وقصص التائبين) بهدف وضع نسخة حديثة من الكتابين بين يدي القارئ المعاصر، ترغيباً له في التوبة وسلوك سبيل التائبين الذين هم أحباب الله؛ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ).

التعريف بابن أبي الدنيا:

أبو بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي البغدادي (٢٠٨ – ٢٨١ هـ) الملقب بابن أبي الدنيا (وقد طغى لقبه على اسمه حتى اشتهر به) الإمام، الحافظ، المحدِّث، العالم، الصدوق، الزاهد، الْمُؤدِّب. وُلد في مدينة بغداد، في أوائل القرن الثالث للهجرة سنة ٢٠٨ هـ. ونشأ في بيت عِلم، فأبوه من رُوَاةِ الأخبار. وقد بدأ في طلب العلم قبل بُلوغ سِنِّ العاشرة.

وعاصر ابن أبي الدنيا عددًا من خلفاء بني العباس، مؤدِّبًا اثنين منهم: المعتضد بالله (توفي ٢٨٩ هـ) والمكتفي بالله (توفي ٢٩٥ هـ). وتوفي خلال فترة خلافة الْمُعتضد بالله.

وكان ابن أبي الدنيا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فقد ذكره المصنِّفون في طبقات الحنابلة في مؤلفاتهم، كما نقلو له مسألتين شافهَ بهما الإمام أحمد، وهما:

- قال ابن أبي الدنيا: سألت أحمد بن حنبل: ما أقول بين التكبيرتين في صلاة العيد؟ قال: تحمد الله عز وجل، وتصلي على النبي.
- قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا: سألت أحمد بن حنبل: متى يُصلَّى على السقط؟ فقال: إذا كان لأربعة أشهر صلِّ عليه، وسمِّ.

وابن أبي الدنيا من المكثرين في التصنيف والتأليف، له تصانيف كثيرة، فيها مخبّآت وعجائب، وقد بلغ عدد كتبه ١٧٤ كتابًا، رحمه الله.

التعريف بابن قدامة:

موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة بن مقدام، العدوي، القرشي، المقدِسي، أحد أئمة المذهب الحنبلي وشيوخه. مؤلف كتاب "الْمُغْنِي" الذي يمكن اعتباره من أكبر كتب الفقه في الإسلام والمذهب الحنبلي.

ولد بجمَّاعيل (تسمى اليوم جماعين) من عمل نابلس في فلسطين في شعبان سنة ٥٤١ هـ. وفي تلك السنة قامت الحملة الصليبية الثانية بقيادة لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث ملك ألمانيا، وبعد ذلك بثمان سنوات استولى الصليبيون على فلسطين فهاجر والده أحمد بن قدامة مع أسرته إلى دمشق، وطلب ابنه عبد الله العلم في دمشق، ثم في بغداد حيث رحل إليها هو وابن خالته الحافظ عبد الغني المقدسي صاحب "عمدة الأحكام" والمحدِّث الكبير المتوفى سنة ٦٠٠ هـ، فدرسا على شيخ الحنابلة عبد القادر الجيلاني، وغيره من مشايخ بغداد، وقد خدم الموفق المقدسي المذهب الحنبلي خدمة عظيمة بمؤلفاته المفيدة، ومنها: العمدة، والمقنع، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، والمغني.

ولما زحف صلاح الدين الأيوبي بجيوش الإسلام لتحرير فلسطين[١] في شهر المحرم سنة ٥٨٣ هـ كان الشيخ ابن قدامة في مقدمة تلك الجيوش، وشرَّفه الله بالمشاركة في حصار الكرك، وعكا، وفتح طبرية، ومعركة حطين قرب منطقة النبي شعيب في ٢٥ من شهر ربيع الثاني حيث أُسر ملك الإفرنج جيفري، وأميرهم أرناط، وشارك الشيخ ابن قدامة مع صلاح الدين في تحرير طبريا وعكا والناصرة وقيسارية وصفورية وتبنين وصيدا، وتحرير بيروت في ٢٩

[١] حررها الله والمسجد الأقصى من دنس اليهود الغاصبين.

جمادى الأولى، وتحرير عسقلان، وفتح القدس يوم الجمعة ٢٧ من شهر رجب الفرد، ونصب فيها المنبر الذي أرسله نور الدين بن محمود زنكي، وكان الشيخ ابن قدامة في الثانية والأربعين من عمره، وكان يقضي وقته بين التدريس والجهاد في سبيل الله، ولما بلغ التاسعة والسبعين من عمره وافاه الأجل يوم عيد الفطر المبارك سنة ٦٢٠ هـ، ودفن في مغارة التوبة بمدينة دمشق، رحمه الله.

وكان من عملي في خدمة كتاب التوبة لابن أبي الدنيا وكتاب التوابين لابن قدامة:

- اعتماد نسخة (الشاملة) لكتاب التوبة لابن أبي الدنيا، عن طبعة مكتبة القرآن، ولكتاب التوابين لابن قدامة، عن طبعة دار ابن حزم.
- حذف أسانيد ابن أبي الدنيا وابن قدامة، والاكتفاء بذكر راوي الخبر فقط.
- حذف بعض قصص التوابين التي ذكرها ابن قدامة، اكتفاءً بقصص المشاهير منهم.
- تصويب ما في نسخة (الشاملة) من أخطاء النسْخ، وإكمال ما فيها من سقط، وما أكثره، من خلال الكتب التي أوردت الخبر صحيحاً.
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، من كتب الأحاديث، وذكر المصادر التي نقلت الأخبار التي أوردها المؤلفان، السابقة عليهما واللاحقة لهما.

– التعريف بالأعلام، والأماكن والبلدان التي ورد ذكرها في هذين الكتابين.

– إيضاح معاني الكلمات والألفاظ والعبارات التي تحتاج إلى بيان وشرح وتفسير، من خلال كتب اللغة والمعاجم.

– ضبط الضروريّ من ألفاظ الكتابين، تيسيراً على القارئ المعاصر ومساعدةً له في إقامة اللغة التراثية المرويَّة في الكتابين.

وهو المنهج الذي التزمتُه وأخذتُ به نفسي فيما وفَّقني الله في إخراجه من كتب التراث، في المشروع الذي تبنَّيتُه وسميتُه (سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر) وهذا هو الكتابُ الخامس والعشرون – بفضل الله – في هذه السلسلة[١].

---

[١] وقد سبقه لي أربعة وعشرون عملاً في الجمع والدراسة والاختصار هي: (هذا نبينا كأننا نراه – دولة بني العباس – دولة بني أمية – الثائران: الحسين وابن الزبير – معاوية كسرى العرب – خلافة علي بن أبي طالب – خلافة ذي النورين عثمان بن عفان – خلافة الصِّدِّيق والفاروق – محمد رسول رب العالمين – علي ومعاوية يوم صفين – الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر – التعازي والمراثي للمبرد – محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني – الداء والدواء لابن القيم – أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي – النساء لابن قتيبة – بهجة المجالس لابن عبد البر – تهذيب تاريخ ابن خياط – مختصر زاد المعاد لابن القيم – قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد – تحقيق العواصم من القواصم لابن العربي – حقوق آل البيت في مفهوم ابن تيمية – الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي – مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما:

رحم اللهُ الشيخين العالمين الجليلين ابن أبي الدنيا وابن قدامة المقدسي، وجزاهما عنا خيراً، ونفعنا بعلمهما، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو زهرة

الكويت العامرة – يناير ٢٠٢٤م

"علماء معاصرون نصروا الإسلام"، وكتاب "غرباء". وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).

الكتاب الأول

(التوبة) لابن أبي الدنيا

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الزَّاهِدُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ الْقُرَشِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا، رحمه الله:

الشَّيْطَانُ دَاعٍ إِلَى الْمَعْصِيَةِ

عَنِ قَتَادَةَ[1] وسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} قَالَ: «كُلُّ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ فَهِيَ مِنْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ».

[1] قتادة بن دعامة السَّدوسي: تابعي وعالم في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، محدث، مفسر، حافظ، علامة. كان ضريرًا أكمه. وكان يقول: «"ماقلت لمحدث قط أعد عليَّ، وما سمعت أذناي قط شيئًا إلا وعاه قلبي"». قال أحمد بن حنبل: "كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئاً إلا حفظه؛ قُرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها".

الذَّنْبُ لَا يُنْسَى

عَنِ الْحَسَنِ[١]، قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ فِيَ وَلَدِكَ مَا تَكْرَهُ فَأَعْتِبِ اللَّهَ[٢] فَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يُرَادُ بِهِ أَنْتَ[٣].

احْذَرْ صَغَائِرَ الذُّنُوبِ

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ[٤] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ

---

[١] الحسن بن يسار البصري (٢١ – ١١٠ هـ): إمام وقاضٍ ومحدّث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم. تنقل الحسن البصري بين مدن عدة، أولاها المدينة المنورة مسقط رأسه ومكان نشأته الأولى، وسافر إلى كابل مع فاتحيها، كما عمل كاتبًا للربيع بن زياد الحارثي في خراسان على عهد معاوية بن أبي سفيان، ثم استقر بالبصرة فنُسبَ إليها فاشتهر باسم «الحسن البصري».

[٢] أعتبه : أرضاه وأزال عتبه.

[٣] يعني أن له ذنباً قديماً أورثه لذريته.

[٤] سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري (٨ ق هـ – ٩١ هـ): صحابي معمَّر، عاش طويلاً، حتى بلغ المائة عام، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة.

ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْتَجُوا خُبْزًا لَهُمْ. وإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا يَهْلِكْ»[١].

مَنْ سَرَّهَ أَنْ يَسْبِقَ

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ فَلْيَكُفَّ عَنِ الذُّنُوبِ»[٢].

التَّوْبَةُ تُخَلِّصُكَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ[٣]، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ دَارِهِ، وَكُنْتُ لَهُ نَاصِحًا، وَكَانَ مِنِّي مُسْتَمِعًا، فَقَالَ: "يَا إِبْرَاهِيمُ بَلَغَنِي أَنَّ مُوسَى قَالَ: "إِلَهِي، مَا الَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْ عِقَابِكَ، وَيُبَلِّغُنِي رِضْوَانَكَ

---

[١] أخرجه أحمد (٢٢٨٠٨)، والطبراني (١٦٦/٦) (٥٨٧٢)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (٧٢٦٧). والمعْنى احْذَروا مُحَقَّراتِ الذُّنوبِ، وهي ما لا يُبالي المرءُ به مِن الذُّنوبِ مُستَصغِرًا لها؛ "فإنَّهن يَجْتَمِعْنَ على الرَّجُلِ حتى يُهْلِكْنَه"، فبيَّن أنَّ التَّحْذيرُ منها؛ لأنَّها أسْبابٌ تُؤَدِّي إلى ارْتِكابِ الكَبائِرِ.

[٢] أخرجه أبو يعلى (٤٩٥٠)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٤٠٠/١٠) وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: ضعيف جداً.

[٣] إبراهيم بن أبي عبلة المقدسي، واسمه شمر بن يقظان كان الوليد بن عبد الملك يوجهه إلى بيت المقدس يقسم فيهم العطاء. من بقايا التابعين، ولد بعد الستين ومات سنة إحدى وخمسين ومائة.

وَيُنْجِينِي مِنْ سَخَطِكَ؟ قَالَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالنَّدَمُ بِالْقَلْبِ، وَالتَّرْكُ بِالْجَوَارِحِ".

النَّدَمُ تَوْبَةٌ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ تَوْبَةُ الْعَبْدِ مِنْ ذَنْبِهِ نَدَامَتَهُ عَلَيْهِ".

الْحَجَّاجُ والتَّوْبَةِ

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ، يَوْمًا وَهُوَ يَقُولُ: « رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا عَقِلَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ، امْرَءًا أَفَاقَ وَاسْتَفَاقَ وَأَبْغَضَ الْمَعَاصِيَ وَالنِّفَاقَ، وَكَانَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالْأَشْوَاقِ»[١].

---

[١] قال ابن كثير في البداية والنهاية: وَمِمَّا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ فِي الْمَوَاعِظِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، وَكُلُّكُمْ ذَلِكَ الرَّجُلُ، رَجُلٌ خَطَمَ نَفْسَهُ وَزَمَّهَا فَقَادَهَا بِخِطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَكَفَّهَا بِزِمَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً رَدَّ نَفْسَهُ، امْرَأً اتَّهَمَ نَفْسَهُ، امْرَأً اتَّخَذَ نَفْسَهُ عَدُوَّهُ، امْرَأً حَاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الْحِسَابُ إِلَى غَيْرِهِ، امْرَأً نَظَرَ إِلَى مِيزَانِهِ، امْرَأً نَظَرَ إِلَى حِسَابِهِ، امْرَأً وَزَنَ عَمَلَهُ، امْرَأً فَكَّرَ فِيمَا يَقْرَأُ غَدًا فِي صَحِيفَتِهِ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ، وَكَانَ عِنْدَ قَلْبِهِ زَاجِرًا، وَعِنْدَ هَمِّهِ آمِرًا، امْرَأً أَخَذَ بِعِنَانِ عَمَلِهِ كَمَا يَأْخُذُ بِعِنَانِ جَمَلِهِ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّ، امْرَأً عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ، امْرَأً فَاقَ وَاسْتَفَاقَ وَأَبْغَضَ الْمَعَاصِيَ وَالنِّفَاقَ، وَكَانَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالْأَشْوَاقِ.

فَمَا زَالَ يَقُولُ امْرَأً امْرَأً. حَتَّى بَكَى مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ.

الشُّعَرَاءُ والتَّوْبَة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ[١]، أَنَّهُ كَانَ يَتَمَثَّلُ:

وَكَيْفَ تُحِبَّ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا ... وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى رَكُوبُ

وَتَضْحَكُ دَائِبًا ظَهْرًا لِبَطْنٍ ... وَتَذَكَّرْ مَا عَمِلْتَ فَلَا تَذُوبُ

وَكَانَ يَتَمَثَّلُ:

رُكُوبُ الذُّنُوبِ يُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُوَرِّثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وَكَانَ ابْنُ السَّمَّاكِ[٢] يَتَمَثَّلُ:

يَا مُدْمِنَ الذَّنْبِ أَمَا تَسْتَحِي ... اللَّهُ فِي الْخَلْوَةِ ثَانِيكَا

غَرَّكَ مِنْ رَبِّكَ إِمْهَالُهُ ... وَسَتْرُهُ طُولَ مَسَاوِيكَا

---

[١] عبد الله بن المبارك المروزي (١١٨ -١٨١ هـ): عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية.

[٢] أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغدادي الدقاق الشهير بـ ابن السمَّاك، (المتوفى ٣٤٤ هـ)، مسند العراق، محدِّث من الثقات، ومن كتبه: «الديباج» و«الأمالي» و«وفيات الشيوخ».

أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ

عَنْ مُجَاهِدٍ[١]، قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ: «اتَّقِ اللَّهَ يَا دَاوُدُ، وَلَا يَأْخُذْكَ اللَّهُ عَلَى ذَنْبٍ لَا يَنْظُرُ إِلَيْكَ فِيهِ فَتَلْقَاهُ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَيْسَ لَكَ حُجَّةٌ».

وقْتُ التَّوْبَةِ

عَنِ الْأَشْعَثِ[٢]، قَالَ: دَخَلْتُ السِّجْنَ فَإِذَا الْفَرَزْدَقُ[٣] فِي السِّجْنِ وإذا هُوَ يَقْرِضُ شِعْرًا، فَقَالَ: إِنِّي لَقِيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: «يَا فَرَزْدَقُ، إِنِّي أَرَاكَ صَغِيرَ الْقَدَمَيْنِ، فَالْتَمِسْ لَهُمَا مَوْضِعًا عِنْدَ الْحَوْضِ»، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ عَمِلْتُ كَذَا، وَعَمِلْتُ كَذَا فَقَالَ: «إِنَّ التَّوْبَةَ لَا تَزَالُ تُقْبَلُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

---

[١] مُجاهِد بْن جَبْر (٢١-١٠٤ هـ): مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي. ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد. وهو إمامٌ وفقيه وعالمٌ ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي.

[٢] الأشعث بن عبد الله بن جابر الحداني، أبو عبد الله البصري الأعمى، جد نصر بن علي الكبير، مُحدث من صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث صدوق. روى له البخاري تعليقًا، والباقون سوى مسلم.

[٣] الشاعر الشهير.

رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ لِذُنُوبِهِمَا

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ[١] أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيثٍ عَنْ نَفْسِهِ وَحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ مِثْلَ ذُبَابٍ عَلَى أَنْفِهِ فَذَبَّهُ عَنْهُ»[٢].

وقَالَ[٣]: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ[٤] مَهْلَكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَقَامَ يَطْلُبُهَا فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ حَتَّى أَمُوتَ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لَيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ، وَطَعَامُهُ، وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ"[٥].

---

[١] عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

[٢] صحيح أخرجه الترمذي (٢٤٩٧) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٦٣٠٨) باختلاف يسير.

[٣] يعني عبدالله بن مسعود.

[٤] الدَّوِّيَّةُ: هي الأرضُ القَفْرُ.

[٥] أخرجه البخاري ومسلم.

كَفَّارَةُ الْقُبْلَةِ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَجُلًا، أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ عَنْ كَفَّارَتِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِي هَذِهِ الْآيَةُ؟ قَالَ: «وَلِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»[١].

أَوَّلُ رَجُلٍ قُطِعَ فِي الْمُسْلِمِينَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ[٢]، أَنَّهُ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ أَنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ قُطِعَ فِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ: سَرَقَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِصَاحِبِكُمْ فَاقْطَعُوهُ» وَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَادًا[٣]، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ: كَأَنَّ هَذَا قَدْ شَقَّ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِوَالِي أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَى بِحَدٍّ إِلَّا

---

[١] أخرجه البخاري ومسلم.

[٢] ابن مسعود.

[٣] كناية عن الحزن.

أَقَامَهُ، وَاللَّهُ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ» ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[١].

مُجَادَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فِي قَوْلِهِ: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ} قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ضَحِكْتُ؟» قَالُوا: لِمَ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مِنْ ضَحِكِ الرَّحْمَنِ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا عَبْدِي، فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَيَّ إِلَّا شَاهِدًا مِنْ نَفْسِي، فَيَقُولُ اللهُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْحَفَظَةِ شُهُودًا، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي! فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ"[٢].

---

[١] أورده الذهبي في المهذب في اختصار السنن، وفيه يحيى ضعيف وأبو ماجد لا يعرف، وإسناده ضعيف.

[٢] رواه مسلم وابن حبان.

كَيْفَ يُهَوَّنُ عَلَيْكَ الْمَوْتُ؟

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوصِي رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: «أَقِلَّ مِنَ الذُّنُوبِ يَهُنْ عَلَيْكَ الْمَوْتُ، وَأَقِلَّ مِنَ الدَّيْنِ تَعِشْ حُرًّا»[١].

الْآيَاتُ الَّتِي يُغْفَرُ لِقَارِئِهَا

عَنِ الْأَسْوَدِ، وَعَلْقَمَةَ[٢]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ[٣]، قَالَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَتَيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَا يَقْرَؤُهُمَا عَبْدٌ عِنْدَ ذَنْبٍ يُصِيبُهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ، قُلْنَا: أَيُّ آيَتَيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُخْبِرْنَا، فَفَتَحْنَا الْمُصْحَفَ، فَقَرَأْنَا "الْبَقَرَةَ" فَلَمْ نُصِبْ شَيْئًا، ثُمَّ قَرَأْنَا "النِّسَاءَ"، فَانْتَهَيْنَا إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} قُلْتُ: أَمْسِكْ هَذِهِ، ثُمَّ انْتَهَيْنَا فِي "آلِ عِمْرَانَ" إِلَى هَذِهِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا: {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ

---

[١] أخرجه ابن عدي في (الكامل في الضعفاء) (١٧٨/٦)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية) (١٠٠٧) والألباني في ضعيف الترغيب، وقال: ضعيف جداً.

[٢] الأسود بن يزيد النخعي (المتوفي سنة ٧٥ هـ): تابعي كوفي، وأحد رواة الحديث النبوي. وعمُّه علقمة بن قيس النَّخعي، فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، وُلد زمن النبي، وهاجر وسَكَن مدينة الكوفة في العراق، ولازم عبد الله بن مسعود وتعلّم منه وكان يشبهه في سمته وهديه.

[٣] ابن مسعود.

يَعْلَمُونَ} إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ أَطْبَقْنَا الْمُصْحَفَ، وَأَخْبَرَنَا بِهِمَا عَبْدَ اللَّهِ: فَقَالَ: هُمَا هَاتَانِ".

دُعَاءُ آدَمَ وَتَوْبَتُهُ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ[١]، قَالَ: الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءًا، وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَارْحَمْنِي وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءًا، وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[٢].

أَفْضَلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ الْيَوْمَ رَجُلٌ

عَنْ حَزْمٍ، قَالَ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عِيسَى الْيَشْكُرِيُّ، وَنَحْنُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ: مَا أَفْضَلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ الْيَوْمَ رَجُلٌ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: «تَوْبَةٌ مِنْ ذَنْبٍ أَوْ نَصِيحَةٌ مِنْ قَلْبٍ».

---

[١] عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْن مُعَاوِيَةَ بْن أَبِي سُفْيان الأُمَوِيُّ الدِّمَشْقِيُّ. كَانَ مِنْ خِيَارِ بَنِي أُمَيَّةَ وَصُلَحَائِهِمْ.

[٢] نقله أصحاب التفاسير عن مجاهد.

الطَّابَعُ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الطَّابَعُ مُعَلَّقٌ بِقَائِمَةِ عَرْشِ اللَّهِ، فَإِذَا انْتُهِكَتِ الْحُرْمَةُ واجْتُرِئَ عَلَى الرَّبِّ، بَعَثَ اللَّهُ الطَّابَعَ، فَيَطْبَعَ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا يَعْقِلُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا»[١].

الذُّنُوبُ تَطْبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ

عنْ مُجَاهِدٍ قالَ: «الرَّانُ أَيْسَرُ مِنَ الطَّبْعِ، وَالطَّبْعُ أَيْسَرُ مِنَ الْأَقْفَالِ، وَالْأَقْفَالُ أَشَدُّ ذَلِكَ».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الْأَعْمَالُ سِتَّةٌ: عَمَلٌ بِمِثْلِهِ، وَعَمَلٌ بِمِثْلَيْهِ، وَعَمَلٌ بِعَشْرٍ، وَعَمَلٌ بِسَبْعِمِائَةٍ، وَعَمَلٌ مُوجِبٌ، وَعَمَلٌ يُوجِبُ" ، فَقِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَمَّا عَمَلٌ بِمِثْلِهِ فَرَجُلٌ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَ لَهُ حَسَنَةً، وَرَجُلٌ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَلَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَرَجُلٌ عَمِلَ حَسَنَةً فَضُوعِفَتْ لَهُ عَشْرًا، وَرَجُلٌ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَضُوعِفَتْ لَهُ سَبْعَمِائَةٍ، وَعَمَلٌ مُوجِبٌ لِلْجَنَّةِ، وَعَمَلٌ مُوجِبٌ لِلنَّارِ»[٢].

---

[١] ذكره الألباني في ضعيف الترغيب، وقال: موضوع.

[٢] لا يعرف هذا الخبر إلا من رواية ابن أبي الدنيا. وهو حديث ضعيف؛ فيه بشير بن سريج البصري ضعيف الحديث وبشار بن موسى العجلي ضعيف كثير الغلط.

تَضْعِيفُ حَسَنَاتِ التَّائِبِينَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، أَوْ يَمْحَاهَا اللَّهُ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ»[١].

إِنَّ اللَّهَ لَيُضَاعِفُ الْحَسَنَةَ

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ: الْحَسَنَةُ تُضَاعَفُ، قَالَ: وَمَا أَعْجَبَكَ مِنْ ذَلِكَ؟، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُضَاعِفُ الْحَسَنَةَ أَلْفَيْ أَلْفِ حَسَنَةٍ»[٢].

---

[١] رواه البخاري ومسلم.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، وقال الحافظ ابن كثير بعد أن أورد هذا الحديث في "تفسيره" ١/٤٤٢: هذا حديث غريب، وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير.

وَصِيَّةُ رَجُلٍ مِنَ الْعُبَّادِ

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ[١]، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعُبَّادِ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ».

وَصِيَّةُ لُقْمَانَ لِابْنِهِ

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ زَائِدَةَ[٢]، قَالَ: قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ لَا تُؤَخِّرِ التَّوْبَةَ، فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ يَأْتِي بَغْتَةً».

---

[١] وهب بن منبه (٣٤ – ١١٤ هـ): تابعي جليل، له معرفة بكتب الأوائل وأخباري قصصي يُعد أقدم من كتب في الإسلام. كان ممن قرأ الكُتب ولزم العبادة وواظب على العلم وتجرد للزهد. اهتم وهب بأخبار العرب في الجاهلية، وروى أخبار غير العرب التي استقاها من الكتب المقدسة، ويغلب على أخباره طابع القصص الشعبي الخرافي؛ لذلك يوصف بأنه «مؤرخ أخباري وعالم بأساطير الأولين».

[٢] عثمان بْن زائدة الكوفيُّ المقرئ: محدِّث من الأئمة الثقات. أَصله من الكوفة انْتقل إِلَى الري وَكَانَ من الْعباد المتقشفة وَأهل الْوَرع الدَّقِيق والجهد الشَّديد. قال هشام بن عبيد الرازي: كنا لا نقدّم عَلَيْهِ أحدًا فِي الورع.

أَكْبَرُ أَرْبَعِ كَبَائِرَ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "أَكْبَرَ الْكَبَائِرُ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ لِمَكْرِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ"[١].

أَنْوَاعُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي

عن يَحْيَى بْنِ عَقِيلٍ قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ: "الذُّنُوبُ أَرْبَعَةٌ: ذَنْبَانِ مَغْفُورَانِ، وَذَنْبَانِ لَا يُغْفَرَانِ، رَجُلٌ عَمِلَ ذَنْبًا خَطَأً فَاللَّهُ يَمُنُّ وَلَا يُعَذِّبُهُ عَلَيْهَا، وَقَدْ قَالَ فِيمَا أَنْزَلَ: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} وَرَجُلٌ عَمِلَ ذَنْبًا قَدْ عَلِمَ مَا فِيهِ فَتَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ، وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ، وَقَدْ جَزَى اللَّهُ أَهْلَ هَذَا الذَّنْبِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَذَنْبَانِ لَا يَغْفِرُهُمَا لِأَهْلِهِمَا: رَجُلٌ قَدْ عَمِلَ ذَنْبًا قَدْ عَلِمَ مَا فِيهِ، فَأَصَرَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتُبْ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ، وَلَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ حَتَّى يَتُوبَ، وَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِمُذْنِبٍ حَتَّى

---

[١] رواه عبد الرَّزَّاق في مصنفه، وَالطَّبَرَانِيّ في الكبير، وابن جرير في تفسيره، عن ابن مسعود –رضي الله عنه– موقوفًا عليه، وصحح إسناده إلى ابن مسعود: الهيثمي في مجمع الزوائد، وابن كثير في تفسيره. وهو محمول على الرفع، لأنه مما لا مجال للرأي فيه.

يَسْتَغْفِرَ، وَرَجُلٌ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا، فَإِنَّ هَذِهِ الَّتِي يَهْلِكُ فِيهَا عَامَّةُ مَنْ يَهْلِكُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ"[١].

كَفَاكَ

عن مُكْرَمٍ الْأَزْدِيِّ، وَكَانَ مِنْ عُبَّادِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ قالَ: كَفَاكَ هَمُّكَ بِذَنْبِكَ مِنْ تَوْبَتِكَ إِقْلَاعًا وَإِنَابَةً. وقالَ: مِنْ عِلْمِ الْإِنَابَةِ: خَوْفُ الْقُلُوبِ رُعْبًا مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ.

حَالُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ[٢]، قَالَ: لَا يَأْمَنُ دَاوُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: ذَنْبِي ذَنْبِي، فَيُقَالُ لَهُ: ادْنُهْ، حَتَّى يَدْنُوَ إِلَى مَكَانٍ كَأَنَّهُ يَأْمَنُ بِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}[٣].

---

[١] لا يعرف هذا الخبر إلا من رواية ابن أبي الدنيا. وهو محمول على الرفع، لأنه مما لا مجال للرأي فيه. ولم أقف على تخريجه.

[٢] أبو عاصم عبيد بن عمير الليثي (نحو ٥ هـ – ٧٣ هـ): ذكر البخاري أنه رأى النبي ﷺ، وعداده في كبار تابعي مكي. أحد رواة الحديث النبوي، وهو أول من قصّ القصص لوعظ الناس في الإسلام في خلافة عمر بن الخطاب، قال ابن سعد البغدادي: «أول من قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب».

[٣] رواه أبو نعيم في الحلية.

مُوسَى يَسْأَلُ رَبَّهُ

عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ[١]، أَنَّ مُوسَى، نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ: "يَا رَبِّ لَا تُرِنِي النَّفْسَ الَّتِي قَتَلْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ الرَّبُّ: أَلَمْ أَغْفِرْهُ لَكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ أَخْشَى مِمَّا أَرَى مِنْ عَدْلِكَ أَنْ يَكُونَ لِقَلْبِي رَوْعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: لك أَنْ لَا تَرَاهُ"[٢].

[١] كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق (نحو ٧٢ ق هـ - ٣٢ هـ) أخباريّ عالم بسِيَر الأنبياء والرُّسل. كان يهودياً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام. أسلم في خلافة أبي بكر الصِّديق، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وكثيراً من «الإسرائيليات». خرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن عُمُرٍ مئةً وأربعَ سنين.

[٢] انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر.

الذُّنُوبُ أَهَمُّ

قالَ جَسْرٌ أَبُو جَعْفَرٍ[١]: قُلْتُ لِيُونُسَ[٢]: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، قَالَ: «لَوْ كَانَ أَهَمَّتْهُمْ ذُنُوبُهُمْ مَا اخْتَصَمُوا فِي الْقَدَرِ».

الْقِصَاصُ فِي يَوْمِ الْخَلَاصِ

سَمِعَ ابْنُ سِيرِينَ[٣] رَجُلًا يَسُبُّ الْحَجَّاجَ فَقَالَ: «مَهْ أَيُّهَا الرَّجُلُ؛ إِنَّكَ لَوْ وَافَيْتَ الْآخِرَةَ كَانَ أَصْغَرُ ذَنْبٍ عَمِلْتَهُ قَطُّ أَعْظَمَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ عَمِلَهُ الْحَجَّاجُ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ حَكَمٌ عَدْلٌ إِنْ أَخَذَ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظُلِمَ شَيْئًا فَسَيَأْخُذُ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، فَلَا تَشْغَلَنَّ نَفْسَكَ بِسَبِّهِ».

---

[١] جسر بْن فرقد القصاب، كنيته أَبُو جَعْفَر، من أهل الْبَصْرَة يَرْوِي عَن الْحَسَن وَابْن سِيرِين وَحدث عَنْهُ البصريون وَكَانَ مِمَّن غلب عَلَيْهِ التقشف حَتَّى أغضى عَن تعهد الْحَدِيث فَأخذ يَهِم إِذا روى ويخطئ.

[٢] هو يونس بن عبيد الورع السديد والضرع الشديد ذو الكلام الموزون واللسان المخزون. أبو عبد الله يونس بن عبيد بن دينار العبدي، من حُفَّاظ الحديث الثِّقات. ولد يونس في نهاية القرن الأول الهجري، وتُوفي سنة ١٣٩هـ.

[٣] أبو بكر محمد بن سيرين البصري، (٣٢ – ١١٠ هـ)، التابعي الكبير والإمام القدير في التفسير، والحديث، والفقه، وتعبير الرؤيا، والمقدم في الزهد والورع وبر الوالدين، توفي ١١٠ هـ بعد الحسن البصري بمائة يوم، وكان عمره ٧٨ عاماً.

الْعُصَاةُ أَمْوَاتٌ عَلَى الْأَرْضِ

عَنْ سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ[١]، قَالَ: "أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ إِبْلِيسُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَصَانِي، وَأَنَا أَعُدُّ مَنْ عَصَانِي مَنِ الْمَوْتَى"[٢].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ[٣]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ تَدَلَّوْا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَأَجَّجُوا نَارًا فَجَاءَ هَذَا بِعُودٍ وَجَاءَ هَذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزًا لَهُمْ، كَذَلِكَ مُحَقَّرَاتُ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا يَهْلِكْ»[٤].

مَنْزِلَةُ التَّائِبِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى

قالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ[٥]: إِنَّ قَصَّابًا، وَلِعَ بِجَارِيَةٍ لِبَعْضِ جِيرَانِهِ، فَأَرْسَلَهَا أَهْلُهَا إِلَى حَاجَةٍ لَهُمْ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَتَبِعَهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: لَا

---

[١] سفيان بن عيينة الإمام الأمين ذو العقل الرصين والرأي الراجح الركين المستنبط للمعاني والمرتبط للمباني أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي: كان عالمًا ناقدًا وزاهدًا عابدًا علمه مشهور وزهده معمور.

[٢] ورواه أبو نعيم في الحلية.

[٣] الصحابي الجليل.

[٤] سبق تخريجه.

[٥] بكر بن عبد الله المزني، وكنيته أبو عبد الله البصري، وهو والد عبد الله بن بكر، وقال حميد الطويل: «كان بكر مجاب الدعوة»، سكن البصرة، وكان فقيهًا، مات سنة ١٠٨ هـ.

تَفْعَلْ، لَأَنَا أَشَدُّ حُبًّا لَكَ مِنْكَ لِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، قَالَ: فَأَنْتِ تُخَافِينَهُ، وَأَنَا لَا أَخَافُهُ، فَرَجَعَ تَائِبًا، فَأَصَابَهُ الْعَطَشُ حَتَّى كَادَ يَنْقَطِعُ عُنُقُهُ، فَإِذَا هُوَ بِرَسُولٍ لِبَعْضِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسَأَلَهُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: الْعَطَشُ، قَالَ: تَعَالَ حَتَّى نَدْعُوَ اللَّهَ حَتَّى تُظِلَّنَا سَحَابَةٌ حَتَّى نَدْخُلَ الْقَرْيَةَ، قَالَ: مَا لِي مِنْ عَمَلٍ فَأَدْعُو ، قَالَ: فَأَنَا أَدْعُو وَأَمِّنْ أَنْتَ، قَالَ: فَدَعَا الرَّسُولُ وَأَمَّنَ هُوَ، قَالَ: فَأَظَلَّتْهُمْ سَحَابَةٌ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْقَرْيَةِ فَأَخَذَ الْقَصَّابُ إِلَى مَكَانِهِ، وَمَالَتِ السَّحَابَةُ فَمَالَتْ عَلَيْهِ فَرَجَعَ الرَّسُولُ فَقَالَ لَهُ: زَعَمْتَ أَنْ لَيْسَ لَكَ عَمَلٌ وَأَنَا الَّذِي دَعَوْتُ وَأَنْتَ الَّذِي أَمَّنْتَ فَأَظَلَّتْنَا سَحَابَةٌ، ثُمَّ تَبِعَتْكَ! لَتُخْبِرَنِّي مَا أَمْرُكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ: التَّائِبُ إِلَى اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَكَانِهِ.

أَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ

قَالَ أَبو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ[١]: "مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِ: {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

---

[١] أبو عثمان النهدي تابعي بصري، وأحد رواة الحديث النبوي. وبعد الفتوحات، سكن أبو عثمان الكوفة، ودرس على يد علمائها، ولازم سلمان الفارسي ١٢ سنة. إلا أنه تحوّل إلى البصرة، بعد مقتل الحسين في كربلاء. اجتهد أبو عثمان في العبادة، وكان يُحسن قراءة القرآن، وقد أكثر من الحج والعمرة فجاوزت الستين، وكان قبلها قد حجّ في الجاهلية مرتين. وقد عمّر أبو عثمان طويلاً، وتوفي نحو سنة ٩٥ هـ في البصرة، وقد جاوز عمره ١٣٠ سنة.

إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ

عَنْ شَيْخٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: كَتَبَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعِصْمَةَ ثَمَرَةُ التَّوْبَةِ، وَاللَّهُ وَلِيُّ عِصْمَتِكَ، فَإِيَّاهُ فَاحْمَدْ عَلَيْهَا يَزِدْكَ مِنْ طَاعَتِهِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُجْبَ فَإِنَّهُ أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ، وَالْمُعْجَبُ كَالْمُمْتَنِّ عَلَى اللَّهِ واللهُ أَوْلَى بِالْمِنَّةِ فِيهِ".

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ[1]: إِنَّكَ إِنْ أَدْمَنْتَ النَّظَرَ فِي مَرْآةِ التَّوْبَةِ بَانَ لَكَ قَبِيحُ شَرِّ الْمَعْصِيَةِ.

أَمِرَّ أَعْمَالَكَ

قَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ: أَيْ أَخِي أَمِرَّ أَعْمَالَكَ عَلَى نَفْسِكَ، ثُمَّ قَبِّحْهَا جَهْدَكَ لِعَقْلِكَ، لَعَلَّهُ يَدْعُوكَ تَقْبِيحُهَا إِلَى تَرْكِ مُعَاوَدَتِهَا، وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَإِنْ قَبَّحْتَهَا

---

[1] إبراهيم بن أدهم: أحد علماء أهل السنة والجماعة، من أهل بلْخ في أفغانستان. كان من أبناء الملوك والمياسير. خرج متصيداً، فأثار ثعلبًا وإذا هو في طلبه، هتف به هاتف من قربوس سرجه: «والله! ما لهذا خُلقت!، ولا بهذا أُمرت!». فنزل عن دابته، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جبَّته فلبسها، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه وترك طريقته في التزين بالدنيا، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع. وخرج إلى مكة، وصحب بها سفيان الثوري، والفُضيل بن عِياض. ودخل بلاد الشام، فكان يعمل فيها، ويأكل من عمل يده.

بِجَهْدِكَ فَلَيْسَ يَبْلُغُ غَايَةَ قُبْحِهَا عِنْدَ رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِعَفْوِهِ وَتَمَامِ سَتْرِهِ.

احْذَرْ مَكْرَ اللَّهِ

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: إِنَّ إِقَامَةَ الْعَبْدِ عَلَى الذَّنْبِ يَطْبَعُ عَلَى قَلْبِهِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمِنَ الْأَمْنِ لِمَكْرِ اللَّهِ إِقَامَةُ الْعَبْدِ عَلَى الذَّنْبِ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ.

أَدْوَى الدَّاءِ الذُّنُوبُ

قَالَ زُهَيْرٌ الْبَابِيُّ[1] لِرَجُلٍ: كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي؟ قَالَ: فِي عَافِيَةٍ، قَالَ: «إِنْ كُنْتَ سَلِمْتَ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِنَّكَ كُنْتَ فِي عَافِيَةٍ وَإِلَّا فَلَا دَاءَ أَدْوَى مِنَ الذُّنُوبِ».

كَيْفَ تُكْرِمُ نَفْسَكَ؟

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ[2]، قَالَ: «خَلَّتَانِ مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ الْكَرَامَةَ لَيستْ فِيهِمَا فَكَذِّبْهُ، إِكْرَامُكَ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَإِكْرَامُكَ نَفْسَكَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ».

---

[1] زهير بن نعيم البابي الداعي المحابي كان أغلب أحواله عليه الصبر واليقين، فأيد بالنصر والتمكين. والبابي نسبة إلى مدينة باب الأبواب بسجستان. سكن الْبَصْرَة وروى عَن بن الْمُبَارك وروى عَنهُ أهل بَلَده.

[2] زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ): تابعي وفقيه مدني، وأحد رواة الحديث الشريف.

أَكْرِمْ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ رَبِّكَ

عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ[١]، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: مَا أَكْرَمَ الْعِبَادُ أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا أَهَانَ الْعِبَادُ أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، بِحَسْبِكَ مِنْ عَدُوِّكَ أَنْ تَرَاهُ عَاصِيًا لِلَّهِ، وَبِحَسْبِكَ مِنْ صَدِيقِكَ أَنْ تَرَاهُ مُطِيعًا لِلَّهِ".

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَمُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُذْنِبَ الذَّنْبَ، فَيَذْكُرُ مَقَامَ رَبِّهِ، فَيَدَعُ الذَّنْبَ.

مِنْ آثَارِ الْمَعْصِيَةِ عَلَى الْعَبْدِ

عَنْ خَطَّابٍ الْعَابِدِ[٢]، قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، فَيَجِيءُ إِلَى إِخْوَانِهِ فَيَعْرِفُونَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.

---

[١] يحي بن صالح بن المتوكل الطائي المعروف بيحي بن أبي كثير: تابعي فقيه ومُحدِّث من صغار التابعين ورتبته عند ابن حجر العسقلاني "ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل، توفي في عام ١٢٩ هـ. روى له الجماعة.

[٢] خطاب العابد عن الخطايا شارد، وللراحات طارد. القائل: إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله فيجيء إخوانه فيرون أثر ذلك عليه.

ذُلُّ الْمَعْصِيَةِ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَلْطِيُّ: كَانَ عَامَّةُ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: اللَّهُمَّ انْقِلْنِي مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَتِكَ إِلَى عِزِّ طَاعَتِكَ".

الْخَضِرُ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَلْطِيُّ: لَمَّا أَرَادَ مُوسَى أَنْ يُفَارِقَ الْخَضِرَ قَالَ لَهُ مُوسَى: أَوْصِنِي، قَالَ: كُنْ نَقَّاعًا، وَلَا تَكُنْ ضَرَّارًا، كُنْ بَشَّاشًا، وَلَا تَكُنْ غَضْبَانَ، ارْجِعْ عَنِ اللَّجَاجَةِ، وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، وَلَا تُعَيِّرِ امْرَأً بِخَطِيئَتِهِ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ يَابْنَ عِمْرَانَ"[1].

التَّوْبَةُ بِالْعَمَلِ

عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ قَالَ: إِنَّمَا التَّوْبَةُ بِالْعَمَلِ وَالرُّجُوعِ مِنَ الْأَمْرِ، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ بِالْكَلَامِ.

---

[1] رواه البيهقي في شعب الإيمان.

دَاوُدُ يُنَاجِي رَبَّهُ

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاتِكَةِ[١]، أَنَّ دَاوُدَ، كَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ، إِلَهِي إِذَا ذَكَرْتُ رَحْمَتَكَ خَطِيئَتِي ضاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِرَحْبِهَا، وَإِذَا ذَكَرْتُ رَحْمَتَكَ ارْتَدَّ إِلَيَّ رُوحِي، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ، إِلَهِي خَرَجْتُ أَسْأَلُ أَطِبَّاءَ عِبَادِكَ أَنْ يُدَاوُوا لِي خَطِيئَتِي فَكُلُّهُمْ عَلَيْكَ يَدُلُّنِي، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ، إِلَهِي وَيْلٌ لِمَنْ أَخْطَأَ خَطِيئَةً حَصَادُهَا عَذَابُكَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْهَا لَهُ»[٢].

إِنِّي أُذْنِبُ

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُذْنِبُ ، قَالَ: «اسْتَغْفِرْ»، قَالَ: فَأَسْتَغْفِرُ وَأَعُودُ، قَالَ: «فَإِذَا عُدْتَ فَاسْتَغْفِرْ» قَالَ: وَأَسْتَغْفِرُ ثُمَّ أَعُودُ، قَالَ: «فَإِذَا عُدْتُ فَعُدْ فِي الثَّالِثَةِ، وَالرَّابِعَةِ حَتَّى يَكُونَ الشَّيْطَانُ هُوَ الْمَحْسُورَ»[٣].

---

[١] عثمان بن أبي العاتكة الأزدي، الواعظ الدمشقي، كان معلم أهل دمشق وقاضي الجند. توفي سنة خمس وخمسين ومائة، وروى له أبو داود، والترمذي.

[٢] انظر: الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا.

[٣] انظر: مسند البزار = البحر الزخار، ورواه البيهقي في شعب الإيمان من طريق عمر بن أبي خليفة به. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٠١): "رواه البزار وفيه بشارة بن الحكم الضبي ضعفه غير واحد. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وبقية رجاله وثقوا".

الذَّنْبُ يُصِرُّ عَلَيْهِ الْعَبْدُ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلُّ ذَنْبٍ أَصَرَّ عَلَيْهِ الْعَبْدُ كَبِيرٌ، وَلَيْسَ بِكَبِيرٍ مَا تَابَ مِنْهُ الْعَبْدُ.

عِظْنِي

قَدِمَ بِشْرُ بْنُ رَوْحٍ الْمُهَلَّبِيُّ أَمِيرًا عَلَى عَسْقَلَانَ فَقَالَ: مَنْ هَهُنَا[1]؟، قِيلَ: أَبُو عُمَرَ الصَّنْعَانِيُّ يَعْنِي حَفْصَ بْنَ مَيْسَرَةَ فَأَتَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: عِظْنِي، فَقَالَ: «أَصْلِحْ مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ يُغْفَرْ لَكَ مَا قَدْ مَضَى مِنْهُ، وَلَا تُفْسِدْ فِيمَا بَقِيَ فَتُؤْخَذْ فِيمَا قَدْ مَضَى».

حَقُّ اللَّهِ

عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ[2]، قَالَ: إِنَّ حَقَّ اللَّهِ أَثْقَلُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِهِ الْعِبَادُ، وَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا الْعِبَادُ، وَلَكِنْ أَصْبِحُوا تَوَّابِينَ وَأَمْسُوا تَوَّابِينَ".

---

[1] يعني من العلماء الواعظين.

[2] طلق بن يحيى العنزي (ت ١٠٠ هـ): تابعي وزاهد بصري، وأحد رواة الحديث الشريف.

احْذَرِ الْغُرُورَ وَالْعُجْبَ بِالنَّفْسِ

قَالَ ابْنُ عَوْنٍ[١]: لَا تَثِقَنَّ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يُقْبَلُ مِنْكَ أَمْ لَا، وَلَا تَأْمَنْ ذُنُوبَكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي هَلْ كُفِّرَتْ عَنْكَ أَمْ لَا، إِنَّ عَمَلَكَ عَنْكَ مُغَيَّبٌ كُلَّهُ مَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ أَيَجْعَلُهُ فِي سِجِّينَ أَمْ يَجْعَلُهُ فِي عِلِّيِّينَ".

وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا

قَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ[٢]: بِقَدْرِ مَا يَصْغُرُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ، كَذَا يَعْظُمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَكَ كَذَا يَصْغُرُ عِنْدَ اللَّهِ.

قَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ: "أَصْبَحْتِ الْخَلِيقَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مِنَ الذَّنْبِ تَائِبٌ مُوَطِّنٌ نَفْسَهُ عَلَى هُجْرَانِ ذَنْبِهِ لَا يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ سَيِّئَةِ هَذَا الْمَبْرُورُ، وَصِنْفٌ يُذْنِبُ، ثُمَّ يُذْنِبُ، وَيُذْنِبُ وَيَبْكِي، هَذَا يُرْجَى لَهُ، وَيُخَافُ عَلَيْهِ، وَصِنْفٌ يُذْنِبُ وَلَا يَنْدَمُ، وَيُذْنِبُ وَلَا يَحْزَنُ، وَيُذْنِبُ وَلَا يَبْكِي، فَهَذَا الْخَائِنُ الْجَائِرُ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ".

---

[١] عبد الله بن عون بن أرطبان المزني الحافظ درس مع الحسن البصري ومحمد بن سيرين وغيرهم من رواة الأحاديث النبوية.

[٢] الفضيل بن عياض، أحد أعلام أهل السنة في القرن الثاني الهجري، لقب بـ «عابد الحرمين» (١٠٧ - ١٨٧ هـ).

مَعَ الصَّالِحِينَ

كَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ[١] يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَصْلَحْتَ الصَّالِحِينَ فَأَصْلِحْنَا حَتَّى نَكُونَ صَالِحِينَ.

إِذَا ذَكَرْتُ الْخَطِيئَةَ

قَالَ أَبو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ[٢]: «إِذَا ذَكَرْتُ الْخَطِيئَةَ لَمْ أَشْتَهِ الْمَوْتَ، أَقُولُ أَبْقَى لَعَلِّيّ أَتُوبُ».

عَلَى مِثْلِ هَذَا فَلْيُبْكَ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ: دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ وَأَنَا بِالْفَرَادِيسِ، فِي بَيْتٍ فَقَالَ لِي: هَبْ أَنَّ الْمُسِيءَ قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَلَيْسَ قَدْ فَاتَهُ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ؟ قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ دِينَارًا فَبَكَى وَقَالَ: عَلَى مِثْلِ هَذَا فَلْيُبْكَ.

---

[١] مالك بن دينار البصري، من أعلام التابعين، قال الذهبي: «علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين. ومن أعيان كتبة المصاحف».

[٢] أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العِنسيُّ الدَّارَانيّ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، من أهل داريّا، قرية من قرى دمشق في سوريا. وصفه الذهبي بـ « الإمام الكبير، زاهد العصر ». ولد سنة ١٤٠ هـ وتوفي سنة ٢١٥ هـ.

آيَةُ مَغْفِرَةِ اللَّهِ لِلْحَاجِّ

عن أبي حاتم الحسن بن عميرة[١] قَالَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْحَاجَّ الْمَغْفُورُ لَهُ. قَالَ: آيَةُ ذَلِكَ أَنْ يَدَعَ سَيِّئَ مَا كَانَ عَلَيْهِ.

مِنَ الْكَبَائِرِ

عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ[٢]، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ الذَّنْبَ فَيَحْتَقِرَهُ[٣].

يُونُسُ الْمُسْتَغْفِرُ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُوسَى[٤]: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَكْثَرَ اسْتِغْفَارًا مِنْ يُونُسَ»[٥].

---

[١] أبو حاتم الحسن بن عميرة: يروي عنه حكام بن سلم الرازى. ذكره ابن حبان في "الثقات" (٦/ ١٦٤). والبخاري في "تاريخه" (٢/ ٣٠٢). وذكره الدولابي في "الكنى" (١/ ١٤١).

[٢] الإمام الحافظ إمام بيروت وسائر الشَّام والمغرب والأندلُس أبو عمرو عبدُ الرحمٰن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي. فقيه ومُحدّث وأحد تابعي التابعين وإمام أهل الشام في زمانه.

[٣] قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: قَرَأْتُهُ فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بِخَطِّهِ، وَقَالَ لِي: «ارْوِهِ عَنِّي».

[٤] عبد الْملك بن مُوسَى الطَّوِيل يروي عَن أنس قَالَ الْأَزْدِيّ مُنكر الحَدِيث.

[٥] يونس بن عبيد الورع السديد والضرع الشديد ذو الكلام الموزون واللسان المخزون أبو عبد الله.

الْحَيَاءُ الْحَاجِزُ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ[١]: «سَتَرَ عَلَيْكَ، أَفَمَا ثَمَّ حَيَاءٌ قَلِيلٌ يَحْجِزُكَ؟».

دَارُ الْعَفْوِ

كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْأَصْبَهَانِيُّ[٢] إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عِصْمَةِ اللَّهِ أَوِ الْهَلَكَةِ، وَالْآخِرَةَ دَارُ عَفْوِ اللَّهِ أَوِ النَّارِ.

كَثْرَةُ أَسْتَارِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ

عن أبي رافعٍ[٣] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ كَمْ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ سَتْرٍ؟ قَالَ: "هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا عَمِلَ خَطِيئَةً هَتَكَ مِنْهَا سِتْرًا، فَإِذَا تَابَ رَجَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ السِّتْرُ، وَتِسْعَةٌ مَعَهُ، فَإِذَا لَمْ يَتُبْ، هَتَكَ عَنْهُ

---

[١] أحمد بن عاصم الأنطاكي (١٤٠ - ٢٣٩ هـ) أحد علماء أهل السنة والجماعة وأحد العلماء في القرن الثالث الهجري، كان أبو سليمان الداراني يسميه «جاسوس القلوب» لقوة فراسته، وصفه الذهبي بأنه «الإمام القدوة، واعظ دمشق».

[٢] مُحَمَّد بن يُوسُف الْأَصْبَهَانِيّ: من عباد أهل الْبَصْرَة وقرائها سكن الْبَصْرَة يرْوى الرَّقَائِق ويروى عَنهُ فِي الْوَرع الحكايات الْكَثِيرَة روى عَنهُ عبيد بن حناد الْحلَبِي وَأهل الْبَصْرَة ومَا لَهُ كثير حَدِيث يرجع إِلَيْهِ.

[٣] أبو رافع القِبطي مولى رسول الله، أسلمَ قبل بَدْر ولم يشهدها، لأنه كان مُقيمًا بمكّة، وكان إسلامه بمكة مع إسلام أم الفضل، فكتموا إسلامهم، فلمّا كان بعد بدرٍ هاجر أبو رافع إلى المدينة، وأقام مع رسول الله، وشهد أبو رافع أُحدًا، والخندق، وما بعدهما من المشاهد، وشهد فتح مصر.

مِنْهَا سِتْرًا وَاحِدًا حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، قَالَ اللَّهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: إِنَّ بَنِي آدَمَ يُعَيِّرُونَ وَلَا يُغَيِّرُونَ فَحِفُّوهُ بِأَجْنِحَتِكُمْ فَيَفْعَلُونَ بِهِ ذَلِكَ، فَإِنْ تَابَ رَجَعَتْ إِلَيْهِ الْأَسْتَارُ كُلُّهَا، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ عَجِبَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ: أَسْلِمُوهُ فَيُسْلِمُوهُ حَتَّى لَا يُسْتَرَ مِنْهُ عَوْرَةٌ"[١].

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ لِعَبْدٍ فَضِيحَةً

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ[٢]، قَالَ: "النَّاسُ يَعْمَلُونَ أَعْمَالَهُمْ مِنْ تَحْتِ كَنَفِ اللَّهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ فَضِيحَةً أَخْرَجَهُ مِنْ تَحْتِ كَنَفِهِ، فَبَدَتْ مِنْهُ عَوْرَتُهُ"[٣].

---

[١] أخرجه الروياني في مسنده وإسناده ضعيف لانقطاعه؛ خالد بن يزيد هو السكسكي، لم يدرك الصحابة.

[٢] سعيد بن الْمُسَيِّبِ (١٥ – ٩٤ هـ) التابعي مدني، الملقّب بـ «عالم أهل المدينة»، وبـ «سيد التابعين» في زمانه، وأحد رواة الحديث، وأحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين.

[٣] اللهم لا تخرجنا من تحت كنفك.

لَا يَهْتِكُ اللَّهُ عَبْدًا

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ[١]، يَرْفَعُهُ، قَالَ: «لَا يَهْتِكُ اللَّهُ عَبْدًا، وَفِيهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»[٢].

خَيْرُ رَجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا

قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ[٣]: لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: لِتَائِبٍ، أَوْ رَجُلٍ يَعْمَلُ فِي الدَّرَجَاتِ.

رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ: كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ"[٤].

---

[١] أبو إدريس الخولاني، (٨ – ٨٠ هـ): من كبار التابعين وأحد رواة الحديث، واعظ، فقيه، وقاضي دمشق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان. ووالده أحد الصحابة.

[٢] ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة وقال: ضعيف جدًا.

[٣] ميمون بن مهران الجزري الرقي: من كبار العلماء والأئمة. كان مؤدب أولاد عمر بن عبد العزيز. استوطن الرقة، وولاّه عمر بن عبد العزيز قضاءها. كان على مقدمة الجيش مع معاوية بن هشام بن عبد الملك عندما غزوا نحو قبرص سنة ١٠٧ هـ توفي سنة ١١٦ هـ.

[٤] رواه البخاري ومسلم.

إذا طَهَرَ الْقَلْبُ مِنَ الْمَعَاصِي

قَالَ شَيْخٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ: إذا طَهُرَ الْقَلْبُ مِنَ الْمَعَاصِي لَمْ يَشْبَعْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

كَيْفَ تَصِلُ إِلَى مَغْفِرَةِ ذَنْبِكَ؟

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا سَأَلْتُهُ أَنْ يُقْسِمَ لِي بِاللَّهِ لَهُوَ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَكْذِبُ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ عِنْدَ ذِكْرِهِ ذَنْبَهُ ذَلِكَ فَيَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ إِلَّا غَفَرَهُ اللَّهُ لَهُ»[١].

أَعْرَابِيٌّ يَتُوبُ إِلَى رَبِّهِ

عَنْ ثَابِتٍ[٢]، قَالَ: كُنَّا مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ[٣] بِسَوَادِ الْكُوفَةِ فَدَخَلْتُ حَائِطًا أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَافْتَتَحْتُ {حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ

---

[١] أخرجه أبو داود (١٥٢١)، والترمذي (٤٠٦)، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٢٤٧)، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

[٢] ثابت البُنَانِي: تابعي ومُحدِّث ثقة، سكن البصرة. روى له الجماعة.

[٣] هو مصعب بن الزبير.

وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ} فَإِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ عَلَيْهِ مُقَطَّعَاتٌ يَمَنِيَّةٌ، فَقَالَ لِي: إِذَا قُلْتَ: {غَافِرِ الذَّنْبِ} فَقُلْ: يَا غَافِرَ الذَّنْبِ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَإِذَا قُلْتَ: {شَدِيدِ الْعِقَابِ} فَقُلْ: يَا شَدِيدَ الْعِقَابِ لَا تُعَاقِبْنِي، وَإِذَا قُلْتَ: {ذِي الطَّوْلِ} فَقُلْ: يَا ذَا الطَّوْلِ[1] طُلَّ عَلَيَّ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا لَا أَحَدَ فَخَرَجْتُ إِلَى الْبَابِ فَسَأَلْتُ مَرَّ بِكُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ مُقَطَّعَاتٌ يَمَنِيَّةٌ؟ فَقَالُوا: مَا مَرَّ بِنَا أَحَدٌ، فَكَانُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا أَنَّهُ إِلْيَاسُ[2].

حُكْمُ الْمُسْتَغْفِرِ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى الذَّنْبِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَالْمُسْتَغْفِرُ مِنَ الذَّنْبِ وَهُوَ مُقِيمٌ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ، وَمَنْ آذَى مُسْلِمًا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ كَذَا وَكَذَا»[3].

---

[1] ذو الطَّوْل: المتفضل على عباده ، المتطوّل عليهم بما هو فيه من المِنن والأنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها.

[2] يعني نبي الله إلياس عليه السلام.

[3] أورده السخاوي في المقاصد الحسنة وقال: إسناده ضعيف فيه من لا يعرف وروي موقوفًا.

يَا أَيُّهَا الْخَالِي بِلَذَّاتِهِ

قَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ[١]: لَا تَرَى أَنَّكَ خَلَوْتَ بِخَطِيئَتِكَ، وَلَكِنْ خُلِّيَ بِكَ فِيهَا[٢].

قَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ[٣]، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَإِلَى جَانِبِي أَعْرَابِيٌّ، وَهُوَ سَاكِتٌ، فَلَمَّا أَتَمَّ طَوَافَهُ جَاءَ إِلَى الْمَقَامِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ بِحِذَاءِ الْبَيْتِ، فَقَالَ: «إِلَهِي مَنْ أَوْلَى بِالزَّلَلِ وَالتَّقْصِيرِ مِنِّي، وَقَدْ خَلَقْتَنِي ضَعِيفًا، وَمَنْ أَوْلَى بِالْعَفْوِ عَنِّي مِنْكَ، وَعِلْمُكَ فِيَّ سَابِقٌ، وَقَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ،

---

[١] أبو السري منصور بن عمار ابن كثير السلمي الخراساني، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، من أهل مرو من قرية يقال لها «دندانقان»، قال الذهبي في وصفه بأنه: «الواعظ البليغ الصالح الرباني، عديم النظير في الموعظة والتذكير، كان ينطوي على زهد وتألّه وخشية ولوعظه وقع في النفوس» وقال عنه الجنيد «كان من الواعظين الكبار». وعظ في العراق والشام ومصر وانتشر صيته وتزاحم عليه الخلق. توفي في بغداد سنة ٢٢٥ هـ.

[٢] اللهم سلِّم سلِّم.

[٣] سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الكوفي (١٠٧ – ١٩٨ هـ) : محدِّث الحرم المكي. ولد ونشأ بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. طلب الحديث، وهو غلام، وسمع في سنة ١١٩ هـ وبعد ذلك، ولقي الكبار وحمل عنهم علمًا جمًّا، وكان حافظًا ثقة، واسع العلم كبير القدر، وعمِّر دهرًا، وانتهى إليه علو الإسناد، قال الشافعي:«لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز».

أَطَعْتُكَ بِإِذْنِكَ وَالْمِنَّةُ لَكَ، وَعَصَيْتُكَ بِعِلْمِكَ وَالْحُجَّةُ لَكَ، فَأَسْأَلُكَ بِوُجُوبِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ، وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي وَفَقْرِي إِلَيْكَ، وَغِنَاكَ عَنِّي إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي» قَالَ سُفْيَانُ: فَفَرِحْتُ فَرَحًا مَا أَعْلَمُ مَتَى فَرِحْتُ مِثْلَهُ حِينَ سَمِعْتُهُ يَتَكَلَّمُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ.

الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ فِي الْقُرْآنِ

قَالَ سَلَامُ بْنُ مِسْكِينٍ[١]: إِنَّ الْقُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، وَأَمَّا دَاؤُكُمْ فَذُنُوبُكُمْ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ فَالِاسْتِغْفَارُ.

الصِّرَاعُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالشَّيْطَانِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خِطْمَهُ[٢] فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنِسَ وَإِنْ نَسِيَ اللَّهَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ»[٣].

---

[١] سلام بن مسكين أبو روح النمري الأزدي رجل من اليمن وكان ثقة. وتوفي قبل حماد بن سلمة.

[٢] الخَطْمُ : الأَنف.

[٣] ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء، عن زياد النميري، قال: فيه طعن والبلاء منه.

عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ[١]، قَالَ: «مَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ مُتَبَطِّنٌ فَقَارَ ظَهْرِهِ، لَاوٍ عُنُقَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، فَاغِرٌ فَاهُ عَلَى قَلْبِهِ».

مِنْ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ قَالَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: "الْعَجَبُ لِمَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَجَلَالَهُ كَيْفَ يُخَالِفُ أَمْرَهُ وَيَنْتَهِكُ حُرْمَتَهُ؟ قَالَ الْحَكِيمُ: بِإِغْفَالِ الْحَذَرِ، وَبَسْطِ أَمَدِ الْأَمَلِ، وَبِعَسَى، وَسَوْفَ، وَلَعَلَّ". قَالَ الْمَلِكُ: فبم يُعْتَصَمُ مِنَ الشَّهْوَةِ، وَقَدْ رُكِّبَتْ فِي أَبْدَانٍ ضَعِيفَةٍ، فَفِي كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الْبَدَنِ لِلشَّهْوَةِ حُلُولٌ وَوَطَنٌ؟ قَالَ الْحَكِيمُ: «إِنَّ الشَّهْوَةَ مِنْ نِتَاجِ الْفِكْرِ، وَقَرِينُ كُلِّ فَكْرَةٍ عِبْرَةٌ، وَمَعَ كُلِّ شَهْوَةٍ زَاجِرٌ عَنْهَا، فَمَنْ قَرَنَ شَهَوَاتِهِ بِالاعْتِبَارِ وَحَاطَ نَفْسَهُ بِالازْدِجَارِ انْحَلَّتْ عَنهُ ربقةُ الْعدوان ودحض سيئ فِكْرِهِ بِإِيثَارِ الصَّبْرِ عَلَى شَهْوَتِهِ لِمَا يَرْجُو مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَلَى طَاعَتِهِ وَيَخَافُ مِنْ عِقَابِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ».

قليلُ النظر

قَالَ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ: «تَسْأَلُهُ الْجَنَّةَ، وَتَأْتِي مَا يَكْرَهُ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَقَلَّ نَظَرًا مِنْكَ لِنَفْسِكَ».

---

[١] خالد بن معدان: تابعي وأحد رواة الحديث النبوي، اسمه أبو عبد الله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، الحمصي الإمام شيخ أهل الشام، يعد من أئمة الفقه، أدرك سبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ١٠٣ هـ.

أنفعُ الحياء

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا أَنْفَعُ الْحَيَاءِ؟ قَالَ: أَنْ تَسْتَحِيَ أَنْ تَسْأَلَهُ مَا تُحِبُّ وَتَأْتِي مَا يَكْرَهُ.

بائعُ طاعة الله

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "مَنْ قَضَى مِنَ الْأَيَّامِ شَهْوَتَهُ، وَبَاعَ طَاعَةَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ، قَارَضَ[1] نِعْمَةَ اللَّهِ بَلَاغًا فِي عُقُوبَتِهِ".

أحراسُ الله لك

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ[2]: «اللَّهُ يَحْفَظُكَ بِأَحْرَاسِهِ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ غَدَوْتَ عَلَى مَعَاصِيهِ خِلَافًا لَهُ، فَإِذَا أَمْسَيْتَ أَعَادَ أَحْرَاسَهُ إِلَيْكَ لَا يَمْنَعُهُ مَا كَانَ مِنْكَ».

لَقَدْ أَمْهَلَكَ وَلَمْ يُهملْكَ

قَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَمْهَلَكُمْ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَكُمْ».

كَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: «كَيْفَ أَعْتَذِرُ وَقَدِ احْتَجَجْتُ؟، وَكَيْفَ أَحْتَجُّ وَقَدْ عَلِمْتُ؟».

---

[1] هكذا. وفي الزهد والرقائق للخطيب البغدادي: فارض، بالفاء، يعني بادل.

[2] عبد الله بن ثعلبة الحضرمي المصري: مقبول.

وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ: «أَمَرْتَنِي فَلَمْ أَأْتَمِرْ، وَزَجَرْتَنِي فَلَمْ أَزْدَجِرْ، هَذَا عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أَعْتَذِرُ».

أَوَّلُ مَا فِي الزَّبُورِ

عَنْ سَلَامِ بْنِ مِسْكِينٍ، قَالَ: سَأَلْتُ نَصْرَانِيًّا مَا أَوَّلُ الزَّبُورِ؟ قَالَ: "طُوبَى لِعَبْدٍ لَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَ الْآثِمَةِ، وَلَمْ يُجَالِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَالْخَاطِئِينَ"، قَالَ سَلَامٌ: فَذَكَرْتُ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فَقَالَ: صَدَقَ.

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَرَأْتُ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: "أَنَا اللَّهُ مَالِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِي، فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ رَحْمَةً، وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ نِقْمَةً، فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَيَّ أَعْطِفْهِمْ عَلَيْكُمْ"[١].

يَبْكِي حَتَّى الصَّبَاحِ

عَنْ جَارِيَةَ الْأَنْصَارِيِّ[٢]، أَنَّ رَجُلًا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ}، يُرَدِّدُهَا وَيَبْكِي، وَيَرْكَعُ، وَيَسْجُدُ لَيْلَتَهُ، حَتَّى أَصْبَحَ.

---

[١] روي هذا الخبر مرفوعاً ولا يصح.

[٢] جارية بن يزيد الأنصاري: مجهول الحال.

مُحَمَّدُ بْنُ سُوقَةَ يَتُوبُ تَوْبَةً نَصُوحًا

كان مُحَمَّدُ بْنُ سُوقَةَ[١] كَثِيرًا يَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وأَسْأَلُهُ تَوْبَةً نَصُوحًا». ويَقُولُ: «اللَّهُمَّ مَنْ ظَنَّ بِنَا خَيْرًا، أَوْ ظَنَّاهُ بِهِ فَصَدِّقْ[٢] قَوْلَنَا وَقَوْلَهُ».

مَنْ ظَلَمَنَا، وَمَنْ ظَلَمْنَاهُ

كَانَ حَزْمُ بْنُ أَبِي حَزْمٍ[٣] يَقُولُ: «اللَّهُمَّ مَنْ ظَلَمْنَاهُ بِمَظْلَمَةٍ فَأَثِبْهُ مِنْ مَظْلَمَتِهِ خَيْرًا، وَاغْفِرْهَا لَنَا، وَمَنْ ظَلَمَنَا بِمَظْلَمَةٍ فَأَثِبْنَا مِنْ مَظْلَمَتِهِ خَيْرًا، وَاغْفِرْهَا لَهُ».

وكَانَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ[٤] تَقُولُ: «اللَّهُمَّ قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مَنْ ظَلَمَنِي فَاسْتَوْهِبْنِي مَنْ ظَلَمْتُ».

---

[١] أبو بكر محمد بن سوقة الغنوي الكوفي: إمام حجة من الأئمة العباد الثقات، قال سفيان بن عيينة: «كان محمد بن سوقة لا يحسن أن يعصي الله تعالى»، كما يُذكر في كتاب رجال صحيح مسلم أنّه «كَانَ من الْقُرَّاء من أهل الْعِبَادَة وَالْفضل وَالدّين والسخاء يُقَال إِنَّه أنْفق على أهل الْعلم عشْرين وَمِائَة ألف دِرْهَم». تُوفي سنة نيف وأربعين ومائة.

[٢] يعني حقق لنا هذا الظن.

[٣] حزم بن أبي حزم الْقطعِي: من أهل الْبَصْرَة يروي عَن الْحسن وَابْن سِيرِين روى عَنهُ بن الْمُبَارك وَأهل بَلَده مَاتَ سنة خمس وَسبعين وَمِائَة.

[٤] رابعة العدوية (١٠٠- ١٨٠هـ): امرأة من أتباع التابعين، اشتهرت بالعبادة والزهد والورع.

لَا يَتَكَلَّمُ فِي السَّنَةِ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا

وكان رَجُلٌ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ لَا يَتَكَلَّمُ فِي السَّنَةِ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا، يُكَلِّمُ فِيهِ النَّاسَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ، فَقَالَ: أَوْصِنِي فَقَالَ: «هَلْ أَذْنَبْتَ؟» ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَعَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَهُ عَلَيْكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاعْمَلْ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ مَحَاهُ عَنْكَ».

أَعْمَالٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ قُرْصٍ[١]، قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُوبِقَاتِ»[٢].

---

[١] عُبَادَةُ بْنُ قُرْصٍ الليثى، أقبل من الْغَزْوِ فَكَانَ بِالأَهْوَازِ يَبِيعُ أَثْوَابًا فَسَمِعَ أَذَانًا فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ فَإِذَا هُوَ بِالْحَرُورِيَّةِ، فَقَالُوا: مَنْ أنت؟ فقال: أخوكم، فقالوا: أنت أخو الشيطان، فلما أرادوا قَتْله قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ بِمَا رَضِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي: أَتَيْتُهُ وَأَنَا مُشْرِكٌ فَشَهِدْتُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّدا رَسُولُ اللَّهِ فَخَلَّى عَنِّي. فَقَتَلُوهُ.

[٢] رواه البخاري عن أنس بن مالك.

هَلْ فِي الذُّنُوبِ مُكَفِّرَاتٌ؟

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرٍ[١]: أَكُنْتُمْ تَعُدُّونَ شَيْئًا مِنَ الذُّنُوبِ كُفْرًا؟ قَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ»[٢].

النَّصِيحَةُ لَا الْفَضِيحَةُ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ قَارَفَ ذَنْبًا فَلَا تَدْعُوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَلَا تَسُبُّوهُ وَلَكِنِ ادْعُوا اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَهُ، وَأَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ، فَإِنَّا كُنَّا إِذَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ رَجَوْنَا لَهُ، وَإِذَا خُتِمَ لَهُ بِشَرٍّ خِفْنَا عَلَيْهِ».

---

[١] جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السَّلَمي، صحابي بن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، أحد المكثرين من رواية الحديث، مات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين.

[٢] إسناده حسن، رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٧٦) والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٢١٢) رقم (٢١٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٨٥) رقم (٣٢٥)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد.

إِيَّاكَ وَإِعَانَةَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكَ

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ، قَطَعَ لِصًّا فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْعُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ[١]، وَعَائِذُ بْنُ عَمْرٍو[٢]: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَافَاكُمْ».

حَالُ مَنْ ذَكَرَ خَطِيئَةً عَمِلَهَا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو[٣]، قالَ: مَنْ ذَكَرَ خَطِيئَةً عَمِلَهَا فَوَجِلَ قَلْبُهُ مِنْهَا فَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ لَمْ يَحْسِبْهَا شَيْئًا حَتَّى يَمْحَاهَا[٤].

---

[١] أبو برزة الأسلمي هو الصحابي نَضْلَة بن عُبَيْد بن الحارث الأسلمي. أسلم قديماً، وشهد فتح خيبر، وفتح مكة، وحُنينًا، وسكن البصرة، وولده بها، وغزا خراسان، ومات بها أيام يزيد بن معاوية، وكان يهتم بإطعام الفقراء والمساكين واشتهر بكنيته.

[٢] أبو هبيرة، عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيد بن يزيد المزني، من أصحاب الرسول ﷺ، وكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة، سكن البصرة، وابتنى بها دارًا، وتوفي أيام يزيد بن معاوية.

[٣] ابن العاص رضي الله عنهما.

[٤] انظر: تفسير ابن رجب الحنبلي.

مَتَى يُعْصَمُ الْعَبْدُ مِنَ الذُّنُوبِ؟

قَالَ فَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ[١]: «إِذَا عُصِمَ الرَّجُلُ مِنْ ذَنْبٍ سَبْعَ سِنِينَ لَمْ يَعُدْ فِيهِ أَبَدًا».

ساعات الغفلة والذنوب

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ اغْتِرَارًا؟ قَالَ: أَشَدُّهُمْ تَهَاوُنًا بِالذُّنُوبِ، قِيلَ: عَلَامَ نَبْكِي؟ قَالَ: عَلَى سَاعَاتِ الذُّنُوبِ، قِيلَ: عَلَامَ نَأْسَفُ؟ قَالَ: عَلَى سَاعَاتِ الْغَفْلَةِ.

مَا سَبَبُ الذَّنْبِ؟

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا سَبَبُ الذَّنْبِ؟ قَالَ: الْخَطْرَةُ، فَإِنْ تَدَارَكْتَ الْخَطْرَةَ بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ ذَهَبَتْ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ تَوَلَّدَتْ عَنْهَا الْفِكْرَةُ، فَإِنْ تَدَارَكْتَهَا بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ بَطَلَتْ وَإِلَّا فَعِنْدَ ذَلِكَ تُخَالِطُ الْوَسْوَسَةُ الْفِكْرَةَ فَتَوَلَّدُ عَنْهَا الشَّهْوَةُ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُعَدُّ بَاطِنًا فِي الْقَلْبِ لَمْ يَظْهَرْ عَلَى الْجَوَارِحِ، فَإِنِ اسْتَدْرَكْتَ الشَّهْوَةَ وَإِلَّا تَوَلَّدَ مِنْهَا الطَّلَبُ، فَإِنِ اسْتَدْرَكَ الطَّلَبَ ذَهَبَ وَإِلَّا تَوَلَّدَ مِنْهُ الْفِعْلُ.

---

[١] فرقد بن يعقوب السبخى أبو يعقوب البصري: تابعي، ومن الذين اشتهر عنهم الزهد والعبادة، من سبخة البصرة، كان من أهل الكتاب، وأسلم، أصله من أرمينيا، وكان يحدّث الناس على أشياء من التوراة. وهو من رواة الحديث النبوي، ورتبته عند المحدثين منكر (ضعيف) الحديث.

عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ ذَكَرَ أَصْحَابَ السَّبْتِ، فَقَالَ: «جَعَلُوا يَهُمُّونَ، وَيُمْسِكُونَ، وَقَلَّ مَا رَأَيْتَ أَحَدًا يُكْثِرُ الِاهْتِمَامَ بِالذَّنْبِ، إِلَّا وَاقَعَهُ حَتَّى أَخَذُوهُ فَأَكَلُوهُ فَأُخِذُوا بِهَا، وَاللَّهِ أَوْخَمُ أُكْلَةٍ أَكَلَهَا قَوْمٌ قَطُّ، أَبْقَاهُ خِزْيًا فِي الدُّنْيَا، وَأَشَدُّهُ عُقُوبَةً فِي الْآخِرَةِ».

مَثَلُ حَدِيثِ النفس بِالْخَطِيئَةِ

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ[١]، قَالَ: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: "زَعَمْتُمْ أَنَّ مُوسَى نَهَاكُمْ عَنِ الزِّنَا؟ صَدَقْتُمْ، وَأَنَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ وَأُحَدِّثُكُمْ أَنَّ مَثَلَ حَدِيثِ النَّفْسِ بِالْخَطِيئَةِ كَمَثَلِ الدُّخَانِ فِي الْبَيْتِ إِنْ لَا يُخْرِقْهُ فَإِنَّهُ يُنْتِنُ رِيحَهُ، وَيُغَيِّرُ لَوْنَهُ، وَمَثَلُ الْقَادِحِ فِي الْخَشَبَةِ إِلَّا يَكْسِرُهَا فَإِنَّهُ يَنْخُرُهَا وَيُضْعِفُهَا".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَفَا لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَعْمَلُوا أَوْ يَتَكَلَّمُوا»[٢].

---

[١] سالم بن أبي الجعد (ت ١٠٠ هـ): تابعي كوفي، وأحد رواة الحديث النبوي.

[٢] رواه البخاري ومسلم.

الذِّكْرُ ذِكْرَانِ

عَنْ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ[١]، قَالَ: «الذِّكْرُ ذِكْرَانِ: ذِكْرُ اللَّهِ بِاللِّسَانِ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَذِكْرُ الْعَبْدِ اللَّهَ عِنْدَمَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ أَفْضَلُ».

وَهَنُ قَلْبِكَ مِنْ أَثَرِ ذَنْبِكَ

قَالَ مُحَارِبَ بْنَ دِثَارٍ[٢]: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَجِدُ لَهُ فِي قَلْبِهِ وَهْنًا».

أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمِسْكِ

عَنْ خَالِدِ بْنِ اللَّجْلَاجِ[٣]، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا غِلْمَانًا نَعْمَلُ فِي السُّوقِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ فَرُجِمَ فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُنَا أَنْ نَدُلَّهُ عَلَى مَكَانِ الرَّجُلِ الَّذِي رُجِمَ فَتَعَلَّقْنَا بِهِ فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا جَاءَ يَسْأَلُنَا عَنْ ذَلِكَ الْخَبِيثِ الَّذِي رُجِمَ الْيَوْمَ،

---

[١] بلال بن سعد بن تميم السكوني، الإمام الرباني الواعظ، أبو عمرو الدمشقي شيخ أهل الشام، تابعي وأحد رواة احديث، كان بليغ الموعظة، حسن القصص، نافعًا للعامة.

[٢] محارب بن دثار: من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن وائل ويكنى أبا مطرف ولي قضاء الكوفة وكان راويًا لبعض الأحاديث والآثار ولكن أئمة الحديث لم يكونوا يحتجون به.

[٣] خالد بن اللجلاج أبو إبراهيم العامري مولى بني زهرة، من أهل دمشق، ولأبيه اللجلاج صحبة. من أفاضل أهل زمانه وكان قد لقي عمر بن الخطاب وروى عنه.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَقُولُوا: خَبِيثٌ، فَوَاللَّهِ لَهُوَ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمِسْكِ"[١].

مِنْ مَوَاعِظِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ[٢]، قَالَ: بَيْنَمَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسٌ مَعَ الْحَوَارِيِّينَ إِذْ جَاءَ طَائِرٌ مَنْظُومُ الْجَنَاحَيْنِ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الطَّيْرِ، فَجَعَلَ يَدْرُجُ مِنْ أَيْدِيهِمْ[٣]، فَقَالَ عِيسَى: دَعُوهُ لَا تُنَفِّرُوهُ، فَإِنَّ هَذَا بُعِثَ لَكُمْ آيَةً، فَخَلَعَ مِسْلَاخَهُ[٤] فَخَرَجَ أَقْرَعَ أَحْمَرَ، كَأَقْبَحِ مَا يَكُونُ مِنَ الطَّيْرِ، فَأَتَى بِرْكَةً فَتَلَوَّثَ فِي حَمْأَتِهَا، فَخَرَجَ أَسْوَدَ، فَجَاءَ فَاسْتَقْبَلَ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِسْلَاخِهِ فَلَبِسَهُ فَعَادَ إِلَيْهِ حُسْنُهُ وَجَمَالُهُ، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّمَا بُعِثَ لَكُمْ أَنَّهُ: إِنَّ مَثَلَ هَذَا الْمُؤْمِنُ إِذَا تَلَوَّثَ فِي الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا نُزِعَ مِنْهُ حُسْنُهُ وَجَمَالُهُ، فَإِذَا تَابَ إِلَى اللَّهِ عَادَ إِلَيْهِ حُسْنُهُ وَجَمَالُهُ".

---

[١] رواه أبو داود في السنن ٤٤٣٥.

[٢] شهر بن حوشب أبو سعيد الأشعري الشامي، من كبار علماء التابعين، وأحد رواة الحديث النبوي، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية.

[٣] يتحرك.

[٤] جلده.

قَالُوا لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ[1]: لَوْ تَكَلَّمْتَ؟ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ هَذِهِ عَلَانِيَةٌ حَسَنَةٌ»، ثُمَّ قَالَ {إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} ثُمَّ سَكَتَ.

مَكْتُوبٌ فِي التَّوْارَةِ

عَنْ رَجُلٍ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الشَّامِ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: يَا وَيْحَ ابْنِ آدَمَ يَعْمَلُ بِالْخَطِيئَةِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ يَعُودُ لَهَا، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ فَأَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ يَعُودُ لَهَا فَيَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ، يَا وَيْحَ ابْنِ آدَمَ لَا يُرِيدُ تَرْكَ عَمَلٍ بِالْخَطِيئَةِ، وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَتِي فَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ".

اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصَابَ فِي الدُّنْيَا ذَنْبًا فَعُوقِبَ بِهِ، فَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ،

---

[1] محمد بن واسع الأزدي (٤٠ - ١٢٣ هـ): تابعي، فقيه، من الزهاد. من أهل البصرة، عرض عليه ابن الجارود مالك بن المنذر قضاءها، فأبى. ولكنه بعد ذلك قبل شرطة البصرة أيام هشام بن عبد الملك، وكان من أمراء العرب بالبصرة، وله بها دار مشهورة. شهد محمد بن واسع حرب الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة، وذلك أيام دولة ابن الزبير سنة ٦٥ هـ. وكان قد خرج مع قتيبة بن مسلم إلى خراسان غازيًا، كما كَانَ فِي فتح مَا وَرَاء النَّهر، قال الأصمعي: «لما صافّ قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم، سأل عن محمد ابن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة يبصبص بإصبعه نحو السماء، قال: تلك الإصبع أحب إليَّ من مئة ألف سيف!».

وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَسُتِرَ عَلَيْهِ فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ»[١].

مَثَلُ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ

عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ[٢]، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ، وَيَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً فانْفَكَّتْ حَلَقَةٌ ثُمَّ عَمِلَ أُخْرَى فَانْفَكَّتْ أُخْرَى حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْأَرْضِ»[٣].

حَالُ الْإِنْسَانِ بَيْنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا الْمَسِيحُ فِي رَهْطٍ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ بَيْنَ نَهْرِ جَارٍ وَجِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ، أَقْبَلَ طَائِرٌ حَسَنُ اللَّوْنِ يَتْلَوَّنُ كَأَنَّمَا هُوَ الذَّهَبُ فَوَقَعَ قَرِيبًا فَانْتَفَضَ فَسَلَخَ عَنْهُ مِسَكَّهُ[٤] فَإِذَا هُوَ حِينَ سَلَخَ مِسَكَّهُ أُقَيْرِعُ أُحَيْمِشُ فَانْطَلَقَ يَدِبُّ

---

[١] أخرجه الترمذي (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢٦٠٤)، وأحمد (٧٧٥). وذكره الألباني في (ضعيف ابن ماجه:

٥١٥) وقال: ضعيف.

[٢] الصحابي الجليل.

[٣] ذكره الألباني في (صحيح الجامع: ٢١٩٢) وقال: حسن.

[٤] جلده.

إِلَى الْجِيفَةِ الْمُنْتِنَةِ فَتَمَعَّكَ فِيهَا، وَتَلَطَّخَ بِنَتَنِهَا، فَازْدَادَ قُبُوحًا إِلَى قُبُوحِهِ، وَنَتَنًا إِلَى نَتَنِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَدِبُّ حَتَّى أَتَى نَهْرًا إِلَى جَنْبِهِ ضَحْضَاحٌ صَافٍ فَاغْتَسَلَ فِيهِ، حَتَّى رَجَعَ كَأَنَّهُ بَيْضَةٌ مُقَشَّرَةٌ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَدِبُّ إِلَى مِسكِّهِ فَتَدَرَّعَهُ كَمَا كَانَ حِينَ أَوَّلَ مَرَّةٍ؛ فَكَذَلِكَ مَثَلُ عَامِلِ الْخَطِيئَةِ حِينَ يَكُونُ فِي الْخَطَايَا، وَكَذَلِكَ مَثَلُ التَّوْبَةِ كَمَثَلِ اغْتِسَالِهِ مِنَ النَّتَنِ فِي النَّهْرِ الضَّحْضَاحِ، ثُمَّ رَاجَعَ ذَنْبَهُ حِينَ تَدَرَّعَ مِسكَّهُ"[1].

تَوْبَةُ ثَلَاثَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ سِنَانٍ الْحِمْصِيُّ[2]: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ الْعَذَابَ حَائِقٌ، فَذَكَرَ ذَلِكَ النَّبِيُّ لِقَوْمِهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُخْرِجُوا أَفَاضِلَهُمْ فَيَتُوبُوا، فَخَرَجُوا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا بِثَلَاثَةٍ مِنْ أَفَاضِلِهِمْ وَفْدًا إِلَى اللَّهِ، فَخَرَجَتِ الثَّلَاثَةُ أَمَامَ الْقَوْمِ فَقَالَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى أَنْ لَا نَرُدَّ السُّؤَالَ إِذَا قَامُوا بِأَبْوَابِنَا، وَإِنَّا سُؤَّالٌ مِنْ سُؤَّالِكَ بِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِكَ فَلَا تَرُدَّ مَنْ سَأَلَكَ، وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنَا، وَإِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ

---

[1] ذُكر قبل قليل بالمعنى نفسه عن شهر بن حوشب.

[2] سعيد بن سِنَان أَبُو الْمهْدي الْكِنْدِيّ الْحِمصِي: يروي عَن أبي الزَّاهِرِيَّة. قَالَ أَحْمد: ضَعِيف. وَقَالَ يحيى: لَيْسَ بِشَيْء لَيْسَ بِثِقَة أَحَادِيثه بَوَاطِيل.

عَنَّا، وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَاةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى أَنْ نُعْتِقَ أَرِقَّاءَنَا، وَإِنَّا عُبَيْدُكَ وَأَرِقَّاؤُكَ فَأَوْجِبْ لَنَا عِتْقَنَا، فَأَوْحَى إِلَى النَّبِيِّ أَنَّهُ قَدْ قَبِلَ مِنْهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ.

الْأَوَّابُ الْحَفِيظُ

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «الْأَوَّابُ الْحَفِيظُ الَّذِي يُذْنِبُ الذَّنْبَ سِرًّا، ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهُ سِرًّا».

تَوْبَةُ الْجُهَّالِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} قَالَ: عَمَلُهُ الذَّنْبَ مِنْ جَهَالَتِهِ، {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} قَالَ: التَّوْبَةُ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي حالِ صِحَّتِهِ.

جَزَاءُ الْمَعْصِيَةِ

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «جَزَاءُ الْمَعْصِيَةِ الْوَهَنُ فِي الْعِبَادَةِ، وَالضِّيقُ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالتَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ» ، قِيلَ: وَمَا التَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ؟ قَالَ: «لَا يَنَالُ شَهْوَةً حَلَالًا إِلَّا جَاءَهُ مَا يُنَغِّصُهُ إِيَّاهَا».

إِذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عَبْدٍ

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ، إِذَا رَضِيَ عَنْ عَبْدٍ أَنْسَى الْحَفَظَةَ ذُنُوبَهُ، وَأَمَرَ جَوَارِحَهُ والْأَرْضَ فَقَالَ: اكْتُمْنَ عَنْ عَبْدِي، وَبَلَغَنِي أَنَّهُ مَا سَبَّبَ

اللَّهُ لِعَبْدٍ خَيْرًا إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ وَلَا نَزَعَ بِعَبْدٍ عَنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ[١].

جَالِسُوا التَّوَّابِينَ

قَالَ عُمَرُ: «جَالِسُوا التَّوَّابِينَ، فَإِنَّهُمْ أَرَقُّ شَيْءٍ أَفْئِدَةً».

معنى {التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ[٢]: اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ، وَعُلَمَاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَكَلَّمَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} قَالَ: فَسَأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَقَالَ عُمَرُ: «سَأَلْتَ عَنِ التَّنَاوُشِ، وَهِيَ التَّوْبَةُ، طَلَبُوهَا حِينَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا».

عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} قَالَ: التَّوْبَةُ".

---

[١] رواه ابن عساكر عن أنس مرفوعاً، وضعف الألباني رفعه.

[٢] محمد بن كعب القرظي: مُحدث من التابعين، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان عالمًا بتفسير القرآن. قال ابن سعد: «كان ثقة، عالمًا، كثير الحديث، ورعًا، وهو من رجال الكتب الستة».

وَدَّ الشَّيْطَانُ لَوْ ظَفِرَ مِنْكُمْ بِهَذِهِ

ذُكِرَ لِلْحَسَنِ: ألا يستحيي أحدُنا من رَبِّهِ يَسْتَغْفِرُ مِنْ ذَنْبٍ، ثُمَّ يَعُودُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ ثُمَّ يَعُودُ، فَقَالَ: «وَدَّ الشَّيْطَانُ لَوْ ظَفِرَ مِنْكُمْ بِهَذِهِ فَلَا تَمَلُّوا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ».

عَاصٍ وَطَائِعٌ فِي آنٍ وَاحِدٍ

عَنِ الْحَسَنِ، وقِيلَ لَهُ: "رَجُلٌ لَا يَتَحَاشَى عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا أَنَّ لِسَانَهُ لَا يَفْتُرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ؟ فَأَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَوْنٌ حَسَنٌ".

صَحِيفَةٌ لَيْسَ فِيهَا اسْتِغْفَارٌ

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُرْفَعُ فَإِذَا رُفِعَتْ صَحِيفَةٌ فِيهَا اسْتِغْفَارٌ، رُفِعَتْ بَيْضَاءَ، وَإِذَا رُفِعَتْ صَحِيفَةٌ لَيْسَ فِيهَا اسْتِغْفَارٌ، رُفِعَتْ سَوْدَاءَ».

آخِرُ وَقْتٍ تُقْبَلُ فِيهِ التَّوْبَةُ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْبَيْلَمَانِيِّ[1]، قَالَ: اجْتَمَعَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِيَوْمٍ» فَقَالَ الثَّانِي: أَنْتَ سَمِعْتَ

[1] عبد الرحمن بن البيلماني: مولى عمر بن الخطاب وروى عنه. مات زمن الوليد بن عبد الملك.

هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَقْبَلُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِنِصْفِ يَوْمٍ» فَقَالَ الثَّالِثُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِضَحْوَةٍ» . قَالَ الرَّابِعُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ بِنَفْسِهِ»[١].

اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ

قَالَ سَلْمَانُ[٢]: «إِذَا أَسَأْتَ سَيِّئَةً فِي سَرِيرَةٍ فَأَحْسِنْ حَسَنَةً فِي سَرِيرَةٍ وَإِذَا أَسَأْتَ سَيِّئَةً فِي عَلَانِيَةٍ، فَأَحْسِنْ حَسَنَةً فِي عَلَانِيَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ هَذِهِ بِهَذِهِ»[٣].

---

[١] رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة، ورَوَاهُ الدَّرَاوَرْدِيُّ، وَهِشَامُ بْنُ سَعْدٍ.

[٢] لعله سلمان الفارسي رضي الله عنه.

[٣] انظر: جامع العلوم والحكم (ص ٤١١ - ٤١٦).

هَلْ تَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ؟

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَأَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[١].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الرُّوحِ الْأَمِينِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ، وَسَيِّئَاتِهِ، فَيُقَصَّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فَإِنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وُسِّعَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ»[٢].

مَتَى تُرَدُّ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ؟

قَالَ الْحَسَنَ: «وَمَا يُدْرِيكَ يَابْنَ آدَمَ لَعَلَّكَ قَدْ عَمِلْتَ عَمَلًا مُقِتَّ فِيهِ فَأَنْتَ تَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَعْمَلٍ».

---

[١] ورواه مسلم عن الأَغَرِّ بْن يَسار المزنِيّ.

[٢] رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: صحيح الإسناد.

مِنْ أَحْوَالِ السَّلَفِ الصَّالِحِ

عَنْ أَبِي خَلِيفَةَ[١]، أَنَّ الْحَسَنَ[٢]، كَانَ مُخْتَفِيًا فِي دَارِهِ، فَانْتَبَهَ أَبُو خَلِيفَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَالْحَسَنَ يَبْكِي: فَقَالَ لَهُ: مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ ذَنْبٌ لِي ذَكَرْتُهُ فَبَكَيْتُ.

تَعَالَوْا مِنْ قَبْلِ أَنْ نُدْرِكَ الْكِبَرَ

عَنْ يُونُسَ بْنِ حَلْبَسٍ[٣]: أَنَّ فِتْيَةً، مِنَ الْحُكَمَاءِ تَدَاعَوْا فَقَالُوا: تَعَالَوْا نَتْرُكْ كُلَّ لَذَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُدْرِكَ الْكِبَرَ، فَتَسْتَرْخِي الْمَفَاصِلُ الَّتِي كَانَتْ قَوِيَّةً عَلَى الشَّهَوَاتِ".

---

[١] أبو خليفة، الإمام العلامة المحدث الأديب الأخباري شيخ الوقت أبو خليفة الفضل بن الحبابالجمحي البصري الأعمى: ولد في سنة ست ومائتين، وعني بهذا الشأن، وهو مراهق، فسمع في سنة عشرين ومائتين، ولقي الأعلام، وكتب علمًا جمّا. وكان ثقة صادقًا مأمونًا، أديبًا فصيحًا مفوهًا، رُحِل إليه من الآفاق، وعاش مائة عام.

[٢] البصري.

[٣] يُونُس بْن ميسرَة بْن حَلبس الجبلاني: من أهل الشَّام يروي عَن أم الدَّرْدَاء ورَوَى عَنْهُ الْأَوْزَاعِيّ وَأهل الشَّام قتل سنة ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَة قبل دُخُول عَبْد الله بْن عَليّ بْن عَبْد اللَّهِ بْن الْعَبَّاس بْن عبد الْمطلب دمشق وَكَانَ قد عمي قبل ذَلِك. قَالَ الهَيْثَمُ بنُ عِمْرَانَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ ابْنِ حَلْبَسٍ، وَكَانَ يَدْعُو عِنْدَ المَغِيْبِ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيْلِكَ. فَأَقُوْلُ: مَنْ أَيْنَ يُرْزَقُهَا وَهُوَ أَعْمَى؟! فَلَمَّا دَخَلَتِ العباسيون دِمَشْقَ دخلوا مسجدها، فقتلوا من وجدوا فيه، فقُتِلَ، فَبَلَغَنِي أَنَّ اللَّذَيْنِ قَتَلاَهُ بَكَيَا لَمَّا أُخْبِرَا بِصَلاَحِهِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ.

مَتَى تَنْزِلُ الْمَغْفِرَةُ؟

قَالَ الْحَسَنَ: «أَكْثِرُوا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ فِي بُيُوتِكُمْ، وَعَلَى مَوَائِدِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَفِي أَسْوَاقِكُمْ، وَفِي مَجَالِسِكُمْ، أَيْنَمَا كُنْتُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْرُونَ مَتَى تَنْزِلُ الْمَغْفِرَةُ».

قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: "أَيْ بُنَيَّ عَوِّدْ لِسَانَكَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهِنَّ سَائِلًا".

كَانَ يَدْعُو عَلَى الْخَطَّائِينَ

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ: بَلَغَنَا أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَدْعُو عَلَى الْخَطَّائِينَ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَ الذَّنْبَ، فَلَمَّا أَصَابَ الذَّنْبَ[1] قَالَ: يَا رَبِّ اغْفِرْ لِلْخَطَّائِينَ لَعَلَّكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي مَعَهُمْ".

عَلَامَ الْغُرُورُ وَهَذَا شَأْنُكَ؟

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: نَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ نَمُوتَ، حَتَّى نَتُوبَ، وَلَا نَتُوبَ حَتَّى نَمُوتَ.

وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ مُتَّ لَمْ تُرْفَعِ الْأَسْوَاقُ لِمَوْتِكَ، يَقُولُ: إِنَّ شَأْنَكَ صَغِيرٌ فَاعْرِفْ نَفْسَكَ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، قَالَ: الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ يُمِيتُ الْقَلْبَ.

---

[1] كان ذنب داود أنه حكم لأحد الخصمين فتنبه إلى أنه حكم له قبل أن يدلي الخصم الآخر بحجته، فندم وطلب من الله العفو والمغفرة {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}.

عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مُجَاهِدٍ فَقَالَ: الْقَلْبُ هَذَا، وَبَسَطَ كَفَّهُ، فَإِذَا أَذْنَبَ الرَّجُلُ ذَنْبًا قَالَ: هَكَذَا، فَعَقَدَ وَاحِدًا، ثُمَّ إِذَا أَذْنَبَ عَقَدَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَرْبَعًا، ثُمَّ رَدَّ الْإِبْهَامَ عَلَى الْأَصَابِعِ فِي الذَّنْبِ الْخَامِسِ، فَطُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: فَأَيُّكُمْ يَرَى أَنَّهُ لَمْ يُطْبَعْ عَلَى قَلْبِهِ؟

مَجْلِسُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ يَخْرُجُ إِلَيْنَا، وَقَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ، فَيَقُولُ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ سُنَّةٍ فَلْيَتَنَحَّ هُنَاكَ حَتَّى نَفْرُغَ لَهُ، وَمَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لِلْخُصُومَةِ فَلْيَأْخُذْ بِيَدِ خَصْمِهِ، وَمَنْ جَاءَ مِنْكُمْ يُطْلِعُنَا عَلَى ذَنْبٍ قَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَلْيَسْتُرِ التَّوْبَةَ كَمَا سَتَرَ الذَّنْبَ».

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «لِسَانُ الْعَبْدِ قَلَمُ الْمَلَكِ، وَرِيقُهُ مِدَادُهُ».

عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: بَلَغَنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} قَالَ: سَمِعْنَا أَنَّهُمَا عِنْدَ نَابَيْهِ.

أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحَافِظَيْنِ

عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحَافِظَيْنِ اللَّذَيْنِ مَعَ ابْنِ آدَمَ أَنْ لَا تَكْتُبَا عَلَى عَبْدِي فِي ضَجَرِهِ شَيْئًا».

ثَلَاثَةٌ لَا يُلَامُونَ

عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُلَامُونَ عَلَى غَضَبٍ: الصَّائِمُ، وَالْمَرِيضُ، وَالْمُسَافِرُ".

إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُكَ مَاذَا تَفْعَلُ؟

عَنِ الْحَكَمِ، قَالَ: «إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يُكَفِّرُهَا عَنْهُ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْحُزْنِ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ»[١].

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ فَتًى، أَصَابَ ذَنْبًا فِيمَا مَضَى فَأَتَى نَهْرًا لِيَغْتَسِلَ فَذَكَرَ ذَنْبَهُ، فَوَقَفَ وَاسْتَحْيَا فَرَجَعَ فَنَادَاهُ النَّهْرُ: يَا عَاصِ لَوْ دَنَوْتَ مِنِّي لَغَرَّقْتُكَ.

---

[١] وروي مرفوعاً عن عائشة، وقد ضعف الألباني رفعه (انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته: ٦٧٨).

لَا إِصْرَارَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ

عَنْ أَبِي نُصَيْرَةَ، قَالَ: لَقِيتُ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ فَقُلْتُ: سَمِعْتَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَلَوْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»[١].

لَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ»[٢].

---

[١] رواه أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩)، وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نضرة، وليس إسناده بالقوي، وضعفه الألباني في (ضعيف سنن الترمذي ٧١٢).

[٢] الحديث المرفوع ضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم، وضعف إسناده أيضًا الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة، وقال الإمام العجلوني في كشف الخفاء: رواه أبو الشيخ والديلمي عن ابن عباس رفعه، وكذا العسكري عنه في الأمثال بسند ضعيف، فالحاصل أن رواية ابن عباس المرفوعة ضعيفة ولا نعلم أحدًا قال بصحتها. وأما أثر ابن عباس الموقوف فقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما، وصحح سنده الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف.

مِنْ فَضَائِلِ الِاسْتِغْفَارِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[١].

عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٣].

أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؟

قَالَ حُذَيْفَةُ: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَرَبَ لِسَانِي[٤] فَقَالَ: «أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٥].

---

[١] أخرجه أبو داود (١٥١٨) واللفظ له، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٢٩٠)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وعبدالله بن أحمد في (زوائد المسند) (٢٢٣٤) وضعفه الألباني في (ضعيف الترغيب: ١١٤٥).

[٢] الْأَغَرُّ بْنُ يَسَارٍ الْمُزَنِيُّ: يُعَدُّ فِي الْكُوفِيِّينَ رَوَى عَنْهُ أَبُو بُرْدَةَ وَغَيْرُهُ، لَهُ صُحْبَةٌ، وَيُقَالُ الْجُهَنِيُّ.

[٣] رواه البخاري ومسلم.

[٤] ذرب اللسان: سلاطته وفحشه.

[٥] أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) (٦٧٨٨)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء) (٦/٢٥٣) وضعف إسناده فقال: فيه محمد بن كثير القرشي والضعف على حديثه ورواياته بيّن.

كَيْفَ تُحَسِّرُ الشَّيْطَانَ؟

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: "خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍ تَوَّابٍ"، قِيلَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: «يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ»، قِيلَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: «يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ»، قِيلَ: حَتَّى مَتَى؟ قَالَ: «حَتَّى يَكُونَ الشَّيْطَانُ هُوَ الْمَحْسُورَ».

أَنَا غَفَّارٌ وَابْنُ آدَمَ خَطَّاءٌ

قَالَ عَوْنٌ الْعُقَيْلِيُّ[١]: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ «ابْنُ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَأَنَا غَفَّارٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ الْمُسْتَغْفِرُونَ».

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ: «إِنَّكُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَجَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ اسْتِغْفَارًا سَرَّهُ مَكَانُ ذَلِكَ».

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، وسُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} فَقَالَ: أَعْطَانَا اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ مَكَانَ مَا جَعَلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي كَفَّارَاتِ ذُنُوبِهِمْ".

---

[١] أبو رَوْحٍ عَوْنِ بْنِ أَبِي شَدّادٍ العُقَيلِيّ ساكِنِ البَصْرَةِ.

كَيْفَ تُدَاوِي ذُنُوبَكَ؟

قَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ[١]: «دَاوُوا الذُّنُوبَ بِالتَّوْبَةِ، وَلَرُبَّ تَائِبٍ دَعَتْهُ تَوْبَتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ حتى أَوْفَدَتْهُ عَلَيْهَا».

وَقَالَ عَوْنٌ: «قَلْبُ الْمَرْءِ التَّائِبِ بِمَنْزِلَةِ الزُّجَاجَةِ يُؤَثِّرُ فِيهَا جَمِيعُ مَا أَصَابَهَا؛ فَالْمَوْعِظَةُ إِلَى قُلُوبِهِمْ سَرِيعَةٌ، وَهُمْ إِلَى الرِّقَةِ أَقْرَبُ».

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «جَالِسُوا التَّوَّابِينَ فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ إِلَى النَّادِمِ أَقْرَبُ».

قَالَ الشَّعْبِيُّ: "التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، ثُمَّ تَلَا: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}.

مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلشَّابِّ التَّائِبِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّابَّ التَّائِبَ»[٢].

---

[١] عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي: تابعي وأحد رواة الحديث النبوي. أخو فقيه المدينة عبيد الله بن عبد الله بن عتبة.

[٢] قال الألباني في (ضعيف الجامع ١٧٠١): ضعيف جداً.

حَالُ جَرَائِمِ التَّائِبِينَ

عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَرَائِمُ التَّوَّابِينَ مَنْصُوبَةٌ بِالنَّدَامَةِ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، لَا تَقَرُّ لِلتَّائِبِ بِالدُّنْيَا عَيْنٌ كُلَّمَا ذَكَرَ مَا اجْتَرَحَ عَلَى نَفْسِهِ.

وَكَانَ يَقُولُ: التَّائِبُ أَسْرَعُ دَمْعَةً، وَأَرَقُّ قَلْبًا.

مَتَى يَكُونُ الذَّنْبُ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ؟

عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: اهْتِمَامُ الْعَبْدِ بِذَنْبِهِ دَاعٍ إِلَى تَرْكِهِ، وَنَدَمُهُ عَلَيْهِ مِفْتَاحٌ لِتَوْبَتِهِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَهْتَمُّ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، حَتَّى يَكُونَ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ بَعْضِ حَسَنَاتِهِ.

احْذَرْ أَنْ تُبْطِلَ عَمَلَكَ

عَنِ الْحَسَنِ: {لَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} قَالَ: «بِالْمَعَاصِي».

رَجُلٌ يَبْنِي وَيَهْدِمُ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ[١]، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ: «يَا فُلَانُ، إِنَّكَ تَبْنِي وَتَهْدِمُ» ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَوْفَ أَبْنِي، وَلَا أَهْدِمُ[٢]. قَالَ سُلَيْمَانُ: يَعْنِي يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ، وَالسَّيِّئَاتِ.

قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ[٣]: بَلَغَنِي أَنَّهُ مَنْ بَكَى عَلَى خَطِيئَةٍ مُحِيَتْ عَنْهُ وَكُتِبَ لَهُ حَسَنَةً.

فَضْلُ الْبُكَاءِ عَلَى الْخَطِيئَةِ

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ[٤]، قَالَ: «الْبُكَاءُ عَلَى الْخَطِيئَةِ يَحُطُّ الْخَطَايَا كَمَا يَحُطُّ الرِّيحُ الْوَرَقَ الْيَابِسَ».

قَالَ الصَّلْتُ بْنُ حَكِيمٍ: بَيْنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ صَاحِبٍ لَنَا وَمَعَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَجَعَلَ بَعْضُ قُرَّائِنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَقُولُ:

---

[١] عبد الله بن شقيق العقيلي البصري: تابعي ثقة، توفي عام : ١٠٨ هـ.

[٢] رواه ابن رجب في لطائف المعارف وإسناده ضعيف، مرسل، أرسله عبد الله بن شقيق.

[٣] عطية بن سعد ابن جنادة العوفي الكوفي: من مشاهير التابعين ومن أهل القرآن والحديث وكان شيعيًا وبسبب ذلك ضعّفه البعض.

[٤] أبو يحي مالك بن دينار البصري: من أعلام التابعين، قال الذهبي: «علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين. ومن أعيان كتبة المصاحف».

وَمَا لِي لَا أَبْكِي عَلَى الذَّنْبِ إِنَّنِي أَرَى الذَّنْبَ دَاءً فِي الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ

فَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَبْكِي، وَيَقُولُ: رُدَّ عَلَيْنَا: أَرَى الذَّنْبَ دَاءً فِي الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُرَدِّدُهُ حَتَّى ظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّ نَفْسَهُ سَتَخْرُجُ.

شُؤْمُ الْمَعْصِيَةِ وَبَرَكَةُ الطَّاعَةِ

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «الْعَمَلُ بِالْحَسَنَةِ نُورٌ فِي الْقَلْبِ وَقُوَّةٌ فِي الْبَدَنِ، وَالْعَمَلُ بِالسَّيِّئَةِ ظُلْمَةٌ فِي الْقَلْبِ، وَوَهَنٌ فِي الْبَدَنِ».

عَنْ خَطَّابٍ الْعَابِدِ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَيَجِئُ إِخْوَانَهُ فَيَرَوْنَ أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ».

عَنِ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ».

تَفْسِيرُ الرَّانِ عَلَى الْقَلْبِ

عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} «تَدْرُونَ مَا الْإِرَانَةُ؟ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ، وَالذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ، حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ».

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَيَكُونُ نُورًا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةً فِي بَدَنِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ، فَتَكُونُ ظُلْمَةً فِي قَلْبِهِ، وَوَهَنًا فِي بَدَنِهِ».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَتَسَوَّدَ قَلْبُهُ» قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[١].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَنْفَعُ الْعَبْدَ بِالذَّنْبِ يُذْنِبُهُ»[٢].

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: «شَرُّ مَنْزِلٍ وَمُتَحَوَّرٍ[٣]، ذَنْبٌ إِلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ».

من هم الأوابون؟

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ[٤]: {فَإِنَّهَ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} قَالَ: «الرَّجَّاعِينَ إِلَى الْخَيْرِ».

---

[١] رواه الترمذي وصحح الألباني إسناده.

[٢] ضعف الألباني إسناده في (ضعيف الجامع: ١٦٦١).

[٣] منزل يعاد إليه.

[٤] الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد سعيد بن جبير الأسدي (٤٦-٩٥ هـ): تابعي، كان تقياً عالماً درس على عبد الله بن عباس حبر الأمة وعبد الله بن عمر والسيدة عائشة أم المؤمنين في

قَالُوا لِجُلُودِهِمْ

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فِي قَوْلِهِ: {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا} قَالَ: "قَالُوا لِفُرُوجِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟

عَنْ حَبِيبٍ أَبِي مُحَمَّدٍ، أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنِّي لَقِيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ بِالشَّامِ، فَقَالَ لِي: «أَنْتَ الْفَرَزْدَقُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ الشِّعْرَ؟» قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَانْظُرْ فَلَعَلَّكَ إِنْ بَقِيتَ أَنْ تَلْقَى قَوْمًا يُخْبِرُونَكَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَغْفِرَ لَكَ فَلَا تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ».

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَتُعْرَضُ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ، فَيَقُولُ: أَمَا إِنِّي كُنْتُ مُشْفِقًا مِنْكِ ، فَيُغْفَرُ لَهُ".

قَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ، بَارَزْتَ اللَّهَ بِعَمَلٍ مَقَتَكَ عَلَيْهِ فَأَغْلَقَ دُونَكَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ، كَيْفَ تَرَى يَكُونُ حَالُكَ؟».

عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ الصَّغِيرَ فَيَحْقِرُهُ، وَلَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ، فَيَعْظُمُ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الطَّوْدِ، وَيَعْمَلُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ فَيَنْدَمُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهُ فَيَصْغُرَ عِنْدَ اللَّهِ، حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ.

المدينة المنورة، سكن الكوفة ونشر العِلم فيها وكان من علماء التابعين، فأصبح إماماً ومعلماً لأهلها، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على بني أمية.

قالَ أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِالْحَسَنَةِ، فَيَتَّكِلُ عَلَيْهَا، وَيَعْمَلُ بِالْمُحَقَّرَاتِ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ، وَقَدْ أَحَطْنَ بِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِالسَّيِّئَةِ فَيَفْرَقُ مِنْهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ آمِنًا».

الكتاب الثاني

التوابين

لابن قدامة المقدسي

التوابون من الملائكة عليهمُ السلام

قصة هاروت وماروت

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ آدَمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – لَمَّا أَهْبَطَهُ اللَّهُ إِلَى الأَرْضِ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ: أَيْ رَبَّنَا. {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ}.

قَالُوا: رَبَّنَا! نَحْنُ أَطْوَعُ لَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلائِكَةِ: هَلُمُّوا مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلائِكَةِ حَتَّى نُهْبِطَهُمَا إِلَى الأَرْضِ فَتَنْظُرُوا كَيْفَ يَعْمَلانِ.

قَالُوا: رَبَّنَا! هَارُوتَ وَمَارُوتَ[1].

فَأُهْبِطَا إِلَى الأَرْضِ وَمُثِّلَتْ لَهُمَا الزَّهْرَةُ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ فَجَاءَتْهُمَا فَسَأَلاهَا نَفْسَهَا قَالَتْ: لا وَاللَّهِ! حَتَّى تَتَكَلَّمَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الإِشْرَاكِ.

فَقَالا: لا وَاللَّهِ! لا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا.

---

[1] هاروت وماروت ملكان من السماء مذكوران في القرآن نزلا في أرض بابل، وأُنزِل عليهما السحر بإذن الله؛ امتحاناً وابتلاءً للناس وكانا قبل أن يعلّما الناس السحر، يقولان لهم إنهما فتنة فلا تكفروا (لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ).

فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا ثُمَّ رَجَعَتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ فَسَأَلاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لا وَاللَّهِ! حَتَّى تَقْتُلا هَذَا الصَّبِيَّ، فَقَالا: لا وَاللَّهِ! لا نَقْتُلُهُ أَبَدًا.

فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ بِقَدَحِ خَمْرٍ تَحْمِلُهُ فَسَأَلاهَا نَفْسَهَا فَقَالَتْ: لا وَاللَّهِ! حَتَّى تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ، فَشَرِبَا حَتَّى سَكِرَا؛ فَوَقَعَا عَلَيْهَا وَقَتَلا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَفَاقَا قَالَتِ: الْمَرْأَةُ: وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُمَا شَيْئًا مِمَّا أَبَيْتُمَاهُ إِلا فَعَلْتُمَاهُ حِينَ سَكِرْتُمَا.

فَخُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا"[1].

وعَنْ مُعَاذٍ قَالَ: لَمَّا أَنْ أَفَاقَا جَاءَهُمَا جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – مِنْ عِنْدِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – وَهُمَا يَبْكِيَانِ فَبَكَى مَعَهُمَا وَقَالَ: لَهُمَا: مَا هَذِهِ الْبَلِيَّةُ الَّتِي أَجْحَفَ بِكُمَا بَلاؤُهَا وَشَقَاؤُهَا؟

فبَكَيا إليه فقالَ لهما: إِنَّ رَبَّكُمَا يُخَيِّرُكُمَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَأَنْ تَكُونَا عِنْدَهُ فِي الآخِرَةِ فِي مَشِيئَتِهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمَا وَإِنْ شَاءَ رَحِمَكُمَا. وَإِنْ شِئْتُمَا عَذَابَ الآخِرَةِ.

فَعَلِمَا أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَأَنَّ الآخِرَةَ دَائِمَةٌ وأنَّ اللهَ بِعبادِه رؤوفٌ رَحِيمٌ. فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا وَأَنْ يَكُونَا فِي الْمَشِيئَةِ عِنْدَ اللَّهِ.

---

[1] رواه أحمد في المسند (٦١٧٨) واللفظ له، والبزار (٥٩٩٦)، وعبد بن حميد (٧٨٥) وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند: إسناده ضعيف ومتنه باطل.

فَهُمَا بِبَابِلِ فَارِسَ مُعَلَّقَيْنِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فِي غَارٍ تَحْتَ الأَرْضِ يُعَذَّبَانِ كُلَّ يَوْمٍ طَرَفَيِ النَّهَارِ إِلَى الصَّيْحَةِ.

وَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ الْمَلائِكَةُ خَفَقَتْ بِأَجْنِحَتِهَا فِي الْبَيْتِ ثُمَّ قَالُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِوَلَدِ آدَمَ عَجَبًا كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُطِيعُونَهُ عَلَى مَا لَهُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ![1]

وَقَالَ ابنُ الْكَلْبِيُّ[2]: فَاسْتَغْفَرَتِ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لِوَلَدِ آدَمَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ}.

التوابون من الأنبياء عليهم السلام

توبة آدم عليه السلام

عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ آدَمَ، لَمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ تَسَاقَطَ عَنْهُ جَمِيعُ زِينَةِ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ زِينَتِهَا إِلَّا التَّاجُ وَالْإِكْلِيلُ، وَجَعَلَ لَا يَسْتَتِرُ بِشَيْءٍ مِنْ وَرَقِ

---

[1] وروي عن معاذ مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف أصح. (قاله سبط ابن الجوزي).

[2] هشام بن محمد بن السائب الكلبي ويكنى ابن الكلبي (١١٠ – توفي ٢٠٤ هـ): مؤرخ، وعالم أنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها. يعتبر المؤلفون في الأنساب الذين جاءوا بعد هشام عالة عليه، وكان كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم نسخة من كتاب جمهرة النسب للكلبي مع حذف وإضافة. وأخذت كتب الأمثال عنه كمجمع الأمثال للميداني وجمهرة الأمثال للعسكري، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام.

الْجَنَّةِ إِلَّا سَقَطَ عَنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَى حَوَّاءَ بَاكِيًا وَقَالَ: اسْتَعِدِّي لِلْخُرُوجِ مِنْ جِوَارِ اللَّهِ؛ هَذَا أَوَّلُ شُؤْمِ الْمَعْصِيَةِ. قَالَتْ: يَا آدَمُ مَا ظَنَنْتُ أَحَدًا يَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَاسَمَهُمَا عَلَى الشَّجَرَةِ. وَانْطَلَقَ آدَمُ فِي الْجَنَّةِ هَارِبًا اسْتِحْيَاءً مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شَجَرَةٌ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا، فظَنَّ آدَمُ أَنَّهُ قَدْ عُوجِلَ بِالْعُقُوبَةِ؛ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ يَقُولُ: الْعَفْوَ الْعَفْوَ. فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ فِرَارًا مِنِّي؟ قَالَ: بَلْ حَيَاءً مِنْكَ سَيِّدِي. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْمَلَكَيْنِ: أَخْرِجَا آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنْ جِوَارِي، فَإِنَّهُمَا قَدْ عَصَيَانِي. فَنَزَعَ جِبْرِيلُ التَّاجَ عَنْ رَأْسِهِ، وَحَلَّ مِيكَائِيلُ الْإِكْلِيلَ عَنْ جَبِينِهِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: فَلَمَّا أُهْبِطَ مِنْ مَلَكُوتِ الْقُدُسِ إِلَى دَارِ الْجُوعِ وَالْمَسْغَبَةِ، بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ مِائَةَ سَنَةٍ، قَدْ رَمَى بِرَأْسِهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ حَتَّى نَبَتَتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَأَشْجَارًا مِنْ دُمُوعِهِ، حَتَّى يَقَعَ الدَّمْعُ فِي نُقَرِ الْجَلَاهِمِ وَأَقْعِيَتِهَا. فَمَرَّ بِهِ نَسْرٌ عَظِيمٌ قَدْ أَجْهَدَهُ الْعَطَشُ، فَشَرِبَ مِنْ دُمُوعِ آدَمَ وَأَنْطَقَ اللَّهُ النَّسْرَ فَقَالَ: يَا آدَمُ إِنِّي فِي هَذِهِ الْأَرْضِ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، وَقَدْ بَلَغْتُ شَرْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا، وَشَرِبْتُ مِنْ بُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، وَغُدْرَانِ جِبَالِهَا، وَسِيفِ بِحَارِهَا، مَا شَرِبْتُ مَاءً أَعْذَبَ وَلَا أَطْيَبَ رَائِحَةً مِنْ هَذَا الْمَاءِ. قَالَ آدَمُ: وَيْحَكَ يَا نَسْرُ أَتَعْقِلُ مَا تَقُولُ؟ مِنْ أَيْنَ تَجِدُ عُذُوبَةَ دَمْعِ مَنْ عَصَى رَبَّهُ، وَجَرَى عَلَى خَدَّيْنِ عَاصِيَيْنِ؟ وَأَيُّ دَمْعٍ أَمَرُّ مِنْ دَمْعِ عَاصٍ؟ وَلَكِنْ أَظُنُّ بِكَ أَيُّهَا النَّسْرُ أَنَّكَ تُعَيِّرُنِي لِأَنِّي عَصَيْتُ رَبِّي، فَأُزْعِجْتُ مِنْ دَارِ النِّعْمَةِ إِلَى دَارِ الْبُؤْسِ وَالْمَسْكَنَةِ.

فَقَالَ النَّسْرُ: يَا آدَمُ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ التَّعْيِيرِ، فَمَا أُعَيِّرُكَ، وَلَكِنْ هَكَذَا وَجَدْتُ طَعْمَ دُمُوعِكَ. وَأَيُّ دَمْعٍ أَعْذَبُ مِنْ دَمْعِ عَبْدٍ عَصَى رَبَّهُ، وَذَكَرَ ذَنْبَهُ، فَوَجِلَ قَلْبُهُ، وَخَشَعَ جِسْمُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِ"[1].

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: "لَمَّا أُهْبِطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ ومَكَثَ لَا يَرْقَأُ لَهُ دُمُوعُهُ، اطَّلَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَهُوَ مَحْزُونٌ كَظِيمٌ مُنَكِّسٌ رَأْسَهُ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ: يَا آدَمُ مَا هَذَا الْجَهْدُ الَّذِي أَرَى بِكَ؟ وَمَا هَذِهِ الْبَلِيَّةُ الَّتِي بِكَ بَلَاؤُهَا؟ قَالَ آدَمُ: إِلَهِي عَظُمَتْ مُصِيبَتِي، وَأَحَاطَتْ بِي خَطِيئَتِي، وَأُخْرِجْتُ مِنْ مَلَكُوتِ رَبِّي، فَصِرْتُ فِي دَارِ الْهَوَانِ بَعْدَ الْكَرَامَةِ، وَفِي دَارِ الشَّقَاءِ بَعْدَ السَّعَادَةِ، وَفِي دَارِ النَّصَبِ وَالْعَنَاءِ بَعْدَ الْخَفْضِ وَالرَّاحَةِ، وَفِي دَارِ الْبَلَاءِ بَعْدَ الْعَافِيَةِ، وَفِي دَارِ الزَّوَالِ وَالظَّعْنِ بَعْدَ الْقَرَارِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَفِي دَارِ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ بَعْدَ الْخُلْدِ وَالْبَقَاءِ، فَكَيْفَ لَا أَبْكِي عَلَى خَطِيئَتِي؟ وَكَيْفَ لَا تَحْزَنُ نَفْسِي؟ أَمْ كَيْفَ لِي أَنْ أَجْتَبِرَ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ. فَأُوحِيَ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ أَلَمْ أَصْطَنِعْكَ لِنَفْسِي، وَأَحْلَلْتُكَ دَارِي، وَاصْطَفَيْتُكَ عَلَى خَلْقِي، وَخَصَصْتُكَ بِكَرَامَتِي، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّتِي، وَحَذَّرْتُكَ سَخَطِي؟ أَلَمْ أَخْلُقْكَ بِيَدِي، وَأَنْفُخْ فِيكَ مِنْ رُوحِي، وَأُسْجِدْ لَكَ مَلَائِكَتِي؟ أَلَمْ تَكُ فِي بَحْبُوحَةِ كَرَامَتِي، وَمُنْتَهَى رَحْمَتِي، فَعَصَيْتَ أَمْرِي، وَنَسِيتَ عَهْدِي، وَتَعَرَّضْتَ لِسَخَطِي، وَضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي؟ فَكَيْفَ

---

[1] ورواه ابن أبي الدنيا في (الرقة والبكاء).

تَسْتَنْكِرُ نِقْمَتِي؟ فَوَعِزَّتِي لَوْ مَلَأْتُ الْأَرْضَ رِجَالًا كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَنِي وَيُسَبِّحُونَنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، ثُمَّ عَصَوْنِي، لَأَنْزَلْتُهُمْ مَنَازِلَ الْعَاصِينَ الْآثَمَةِ الْخَاطِئِينَ. فَبَكَى آدَمُ عِنْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَمِائَةِ عَامٍ عَلَى جَبَلِ الْهِنْدِ، تَجْرِي دُمُوعُهُ فِي أَوْدِيَةِ جِبَالِهَا. فَنَبَتَتْ بِتِلْكَ الْمَدَامِعِ أَشْجَارُ طِيبِكُمْ هَذَا. ثُمَّ خَرَجَ يَؤُمُّ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ، فَجَعَلَ يَخْطُو الْخُطْوَةَ، فَيَكُونُ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ ذَا مَسَاكِنَ وَعُمْرَانٍ، وَبَيْنَهُمَا مَفَاوِزُ وَبَرَارِيُّ، حَتَّى أَتَى الْبَيْتَ، فَطَافَ سُبُوعًا، فَبَكَى حَتَّى خَاضَ فِي دُمُوعِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. ثُمَّ صَلَّى، فَبَكَى سَاجِدًا حَتَّى فَاضَتْ دُمُوعُهُ وَجَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ. فَنُودِيَ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا آدَمُ قَدْ رَحِمْتُ ضَعْفَكَ، وَقَبِلْتُ تَوْبَتَكَ، وَغَفَرْتُ ذَنْبَكَ. فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءًا، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، فَاغْفِرْ لِي فَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَارْحَمْنِي فَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. فَمَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يُبْدِي عَنْ وَاضِحِهِ، حَتَّى أَتَاهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: حَيَّاكَ اللَّهُ يَا آدَمُ وَبَيَّاكَ. فَضَحِكَ"[1].

توبة داود عليه السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كَانَ دَاوُدُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – قَدْ قَسَّمَ الدَّهْرَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: فَيَوْمٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يُدَارِسُهُمُ الْعِلْمَ وَيُدَارِسُونَهُ، وَيَوْمٌ لِلْمِحْرَابِ، وَيَوْمٌ لِلْقَضَاءِ، وَيَوْمٌ لِلنِّسَاءِ، فَبَيْنَا هُوَ مَعَ بَنِي

[1] ورواه ابن أبي الدنيا في (الرقة والبكاء).

إِسْرَائِيلَ يُدَارِسُهُمْ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ: لا يَأْتِي عَلَى ابْنِ آدَمَ يَوْمٌ إِلا يُصِيبُ فِيهِ ذَنْبًا، فَقَالَ دَاوُدُ فِي نَفْسِهِ: الْيَوْمُ الَّذِي أَخْلُو فِيهِ لِلْمِحْرَابِ تَتَنَحَّى عَنِّي الْخَطِيئَةُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا دَاوُدُ! خُذْ حِذْرَكَ حَتَّى تَرَى بَلاءَكَ"[1].

وحِينَ دَخَلَ مِحْرَابَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيَّ مِحْرَابِي الْيَوْمَ أَحَدٌ حَتَّى اللَّيْلِ، وَلَا يَشْغَلُنِي شَيْءٌ عَمَّا خَلَوْتُ لَهُ حَتَّى أُمْسِي؛ وَدَخَلَ مِحْرَابَهُ، وَنَشَرَ زَبُورَهُ يَقْرَؤُهُ، وَفِي الْمِحْرَابِ كَوَّةٌ تُطْلِعُهُ عَلَى تِلْكَ الْجُنَيْنَةِ، فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ يَقْرَأُ زَبُورَهُ، إِذْ أَقْبَلَتْ حَمَامَةٌ مِنْ ذَهَبٍ حَتَّى وَقَعَتْ فِي الْكُوَّةِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَآهَا، فَأَعْجَبَتْهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا كَانَ قَالَ أَلَّا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَمَّا دَخَلَ لَهُ، فَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَقْبَلَ عَلَى زَبُورِهِ، فَتَصَوَّبَتِ الْحَمَامَةُ لِلْبَلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ مِنَ الْكُوَّةِ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخَرَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَاتَّبَعَهَا، فَنَهَضَتْ إِلَى الْكُوَّةِ، فَتَنَاوَلَهَا فِي الْكُوَّةِ، فَتَصَوَّبَتْ إِلَى الْجُنَيْنَةِ، فَأَتْبَعَهَا بَصَرَهُ أَيْنَ تَقَعُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ جَالِسَةٌ تَغْتَسِلُ بِهَيْئَةٍ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا فِي الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ وَالْخَلْقِ؛ فَلَمَّا رَأَتْهُ نَقَضَتْ رَأْسَهَا فَوَارَتْ بِهِ جَسَدَهَا مِنْهُ، وَاخْتَطَفَتْ قَلْبَهُ، وَرَجَعَ إِلَى زَبُورِهِ وَمَجْلِسِهِ، وَهِيَ مِنْ شَأْنِهِ لَا يُفَارِقُ قَلْبَهُ ذِكْرُهَا.

---

[1] قال علماء الحديث: هذا الخبر منكر لا يصح.

وَتَمَادَى بِهِ الْبَلَاءُ فبعث لينظرَ مَنْ هي؟ فرجع إليه الرسولُ فقال: هي تشايعُ ابنةُ حنانا وزوجُها أوريا ابنُ صورا، وهو في البلقاءِ مع ابنِ أختِ داودَ محاصرينَ قلعةً.

فكتب داودُ إلى ابنِ أختِه كتاباً: إذا جاءك كتابي هذا فمرْ أوريا بْنَ صورا فليحملِ التابوتَ وليتقدمْ أمامَ الجيش، وكان الذي يتقدم لا يرجع حتى يقتل أو يفتح الله عليه.

فدعا صاحبُ الجيشِ أوريا فقرأ عليه الكتابَ فقال: سمعًا وطاعة. فحمل التابوتَ وسار أمامَ أصحابِه فقُتِل. وكتب ابنُ أخت داود بذلك إلى داود.

فلما انقضتْ عدةُ المرأةِ أرسلَ إليها داودُ فخَطَبَها فتزوَّجَها.

فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مِحْرَابِهِ مَلَكَيْنِ يَخْتَصِمَانِ إِلَيْهِ، مَثَلًا يَضْرِبُهُ لَهُ وَلِصَاحِبِهِ، فَلَمْ يُرَعْ دَاوُدُ إِلَّا بِهِمَا وَاقِفَيْنِ عَلَى رَأْسِهِ فِي مِحْرَابِهِ، فَقَالَ: مَا أَدْخَلَكُمَا عَلَيَّ؟ قَالَا: لَا تَخَفْ لَمْ نَدْخُلْ لِبَأْسٍ وَلَا لِرِيبَةٍ {خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ} فَجِئْنَاكَ لِتَقْضِيَ بَيْنَنَا {فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ} أَيِ احْمِلْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَلَا تُخَالِفْ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ؛ قَالَ الْمَلَكُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْ أُورِيَا بْنِ حَنَانِيَا زَوْجِ الْمَرْأَةِ: {إِنَّ هَذَا أَخِي} أَيْ عَلَى دِينِي {لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا} أَيِ احْمِلْنِي عَلَيْهَا، ثُمَّ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ: أَيْ قَهَرَنِي فِي الْخِطَابِ، وَكَانَ أَقْوَى مِنِّي هُوَ وَأَعَزَّ، فَحَازَ

نَعْجَتِي إِلَى نِعَاجِهِ وَتَرَكَنِي لَا شَيْءَ لِي؛ فَغَضِبَ دَاوُدُ، فَنَظَرَ إِلَى خَصْمِهِ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ، فَقَالَ: لَئِنْ كَانَ صَدَقَنِي مَا يَقُولُ لَأَضْرِبَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْكَ بِالْفَأْسِ.

ثُمَّ ارْعَوَى دَاوُدُ، فَعَرَفَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُرَادُ بِمَا صَنَعَ فِي امْرَأَةِ أُورِيَا، فَوَقَعَ سَاجِدًا تَائِبًا مُنِيبًا بَاكِيًا، فَسَجَدَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا صَائِمًا لَا يَأْكُلُ فِيهَا وَلَا يَشْرَبُ، حَتَّى أَنَبَتْ دَمْعُهُ الْخُضَرَ تَحْتَ وَجْهِهِ، وَحَتَّى أَنْدَبَ السُّجُودُ فِي لَحْمِ وَجْهِهِ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَبِلَ مِنْهُ[1].

توبة سليمان عليه السلام

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ سُلَيْمَانُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – رَجُلاً غَزَّاءً[2] يَغْزُو فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَسَمِعَ بِمَلِكٍ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ فَرَكِبَ سُلَيْمَانُ الرِّيحَ وَجُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، حَتَّى نَزَلَ تِلْكَ الْجَزِيرَةَ فَقَتَلَ مَلِكَهَا وَسَبَى مَنْ فِيهَا وَأَصَابَ جَارِيَةً لَمْ يَرَ مِثْلَهَا حُسْنًا وَجَمَالاً وَكَانَتِ ابْنَةَ ذَلِكَ الْمَلِكِ فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ. فَكَانَ يَجِدُ بِهَا مَا لا يَجِدُ بِأَحَدٍ وَكَانَ يُؤْثِرُهَا عَلَى جَمِيعِ نِسَائِهِ.

فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَقَالَتْ: إِنِّي أَذْكُرُ أَبِي وَمُلْكَهُ وما أصابه فيحزنُني ذَلِكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْمُرَ بَعْضَ الشَّيَاطِينِ فَيُصَوِّرُونَ لِي صُورَةَ أَبِي فِي دَارِي فَأَرَاهُ

---

[1] انظر تفسير الطبري.

[2] كثير الغزو والجهاد.

بُكْرَةً وَعَشِيًّا رَجَوْتُ أَنْ يَذْهَبَ عَنِّي حُزْنِي وَيُسَلَّى عَنِّي بَعْضُ مَا أَجِدُ فِي نَفْسِي.

فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ صَخْرًا الْمَارِدَ فَمَثَّلَ لَهَا أَبَاهَا فِي هَيْئَتِهِ فِي نَاحِيَةِ دَارِهَا لا تُنْكِرُ مِنْهُ شَيْئًا إِلا أَنَّهُ لا رُوحَ فِيهِ. فَعَمَدَتْ إِلَيْهِ فَزَيَّنَتْهُ وَأَلْبَسَتْهُ حَتَّى تَرَكَتْهُ فِي هَيْئَةِ أَبِيهَا وَلِبَاسِهِ فَإِذَا خَرَجَ سُلَيْمَانُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – مِنْ دَارِهَا تَغْدُو عَلَيْهِ كُلَّ غُدْوَةٍ مَعَ جَوَارِيهَا فَتُطَيِّبُهُ وَتَسْجُدُ لَهُ وَتَسْجُدُ جَوَارِيهَا وَتَرُوحُ بِمِثْلِهِ، وَسُلَيْمَانُ لا عِلْمَ لَهُ بِذَلِكَ.

حَتَّى أَتَى لِذَلِكَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا وَبَلَغَ النَّاسَ وَبَلَغَ آصَفَ بْنَ بَرْخِيَا – وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ – فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَقُومَ مَقَامًا أَذْكُرُ فِيهِ مَنْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأُثْنِي عَلَيْهِمْ بِعِلْمِي فِيهِمْ.

فَجَمَعَ سُلَيْمَانُ النَّاسَ، فَقَامَ آصَفُ فِيهِمْ فَذَكَرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بِمَا فِيهِ وَذَكَرَ مَا فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سُلَيْمَانَ فَذَكَرَ فَضْلَهُ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ وَصِغَرِهِ ثُمَّ سَكَتَ. فَامْتَلأَ سُلَيْمَانُ غَيْظًا. فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَتَاهُ. فَقَالَ: يَا آصَفُ! ذَكَرْتَ مَنْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَأَثْنَيْتَ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي زَمَانِهِمْ كُلِّهِ فَلَمَّا ذَكَرْتَنِي جَعَلْتَ تُثْنِي عَلَيَّ بِخَيْرٍ فِي صِغَرِي وَسَكَتَّ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِي فِي كِبَرِي فَمَا الَّذِي أَحْدَثْتُ فِي كِبَرِي؟

قَالَ: أَحْدَثْتَ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ يُعْبَدُ فِي دَارِكَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي هَوَى امْرَأَةٍ.

قَالَ: فِي دَارِي؟ قَالَ: فِي دَارِكَ.

قَالَ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَرَفْتُ مَا قُلْتَ هَذَا إِلا عَنْ شَيْءٍ بَلَغَكَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دَارِهِ وَكَسَرَ ذَلِكَ الصَّنَمَ وَعَاقَبَ تِلْكَ الْمَرْأَةَ وَوَلائِدَهَا ثُمَّ دَعَا بِثِيَابِ الطُّهْرِ فَلَبِسَهَا. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ فَفُرِشَ لَهُ الرَّمَادُ ثُمَّ أَقْبَلَ تَائِبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَجَلَسَ عَلَى ذَلِكَ الرَّمَادِ يَتَمَعَّكُ فِيهِ[١] مُتَذَلِّلاً مُتَضَرِّعًا يَبْكِي وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا هَذَا بَلاؤُكَ عِنْدَ آلِ دَاوُدَ أَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَكَ وَأَنْ يُقِرُّوا فِي دَارِهِمْ وَأَهْلِهِمْ عِبَادَةَ غَيْرِكَ؟! فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَمْسَى. فذلك قولُه تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ}[٢].

توبة يونس عليه السلام

عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ يُونُسَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – كَانَ مَعَ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنِ ابْعَثْ يُونُسَ إِلَى أَهْلِ نِينَوَى يُحَذِّرْهُمْ عُقُوبَتِي.

فَمَضَى يُونُسُ عَلَى كُرْهٍ مِنْهُ وَكَانَ رَجُلًا حَدِيدًا شَدِيدَ الْغَضَبِ.

---

[١] يتمرغ.

[٢] قال ابن كثير إن ما روي في هذا الشأن عن بني إسرائيل لا يصح منه شيء.

فَأَتَاهُمْ فَحَذَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ فَكَذَّبُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهِ نَصِيحَتَهُ وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ وَأَخْرَجُوهُ فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ. فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ. فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ وَأَخْرَجُوهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَرَجَعَ فَكَذَّبُوهُ وَأَوْعَدَهُمُ الْعَذَابَ فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَلَمَّا كَذَّبُوهُ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَجَحَدُوا كِتَابَهُ دَعَا عِنْدَ ذَلِكَ رَبَّهُ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا رَبِّ! إِنَّ قَوْمِي أَبَوْا إِلا الْكُفْرَ فَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ نِقْمَتَكَ.

فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: إِنِّي أُنْزِلُ بِقَوْمِكَ الْعَذَابَ.

فَخَرَجَ عَنْهُمْ يُونُسُ وَأَوْعَدَهُمُ الْعَذَابَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ. وَأَخْرَجَ أَهْلَهُ وَانْطَلَقَ فَصَعِدَ جَبَلًا يَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ نِينَوَى وَيَتَرَقَّبُ الْعَذَابَ.

فَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَعَايَنُوهُ فَتَابُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

فَكَشَفَ عَنْهُمُ الْعَذَابَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَقَالَ يَا يُونُسُ! إِنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَى قَوْمِكَ اتَّهَمُوكَ وَكَذَّبُوكَ! فَذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى شَاطِئَ دِجْلَةَ فَرَكِبَ سَفِينَةً فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ بِهِ الْمَاءَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا أَنِ ارْكُدِي فَرَكَدَتِ السَّفِينَةُ وَالسُّفُنُ تَمُرُّ يَمِينًا وَشِمَالا فَقَالُوا: مَا بَالُ سَفِينَتِكُمْ؟ فَقَالُوا: لا نَدْرِي قَالَ يُونُسُ: أَنَا أَدْرِي قَالُوا: فَمَا حَالُهَا؟ قَالَ: فِيهَا عَبْدٌ آبِقٌ مِنْ رَبِّهِ[1] فَلا تَسِيرُ حَتَّى تُلْقُوهُ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا

[1] آبق: هارب.

وَعَرَفُوهُ، قَالُوا: أَمَّا أَنْتَ فَلَيْسَ نُلْقِيكَ، وَاللَّهِ مَا نَرْجُو النَّجَاةَ مِنْهَا إِلا بِكَ، قَالَ: فَاقْتَرِعُوا فَمَنْ قُرِعَ فَأَلْقُوهُ فِي الْمَاءِ، فَاقْتَرَعُوا فَقَرَعَهُمْ يُونُسُ[1]، فَأَبَوْا أَنْ يُلْقُوهُ، قَالَ: فَاقْتَرِعُوا الثَّانِيَةَ، فَقَرَعَهُمْ، قَالَ: فَاقْتَرِعُوا الثَّالِثَةَ فَقَرَعَهُمْ، قَالَ: أَلْقُونِي فِي الْمَاءِ وَانْجُوا، فَقَامَ الْقَوْمُ فَاحْتَمَلُوهُ شِبْهَ الْمُشْفِقِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ائْتُوا بِي صَدْرَ السَّفِينَةِ، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا أَشْرَفُوا لِيُلْقُوهُ فَإِذَا الْحُوتُ فَاتِحٌ فَاهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: يَا قَوْمُ! رُدُّونِي إِلَى مُؤَخَّرِ السَّفِينَةِ، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا أَشْرَفُوا ذَهَبُوا يَطْرَحُونَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ الْحُوتُ فَاتِحًا فَاهُ، فَلَمَّا رأى جوفه وهوله قَالَ: يَا قَوْمُ! رُدُّونِي إِلَى وَسَطِ السَّفِينَةِ، فَفَعَلُوا، فَاسْتَقْبَلَهُ فَقَالَ: ردوني إلى الجانبِ الآخرِ فاستقبله فَاتِحًا فَاهُ لِيَأْخُذَهُ فَقَالَ: اطْرَحُونِي وَانْجُوا فَلا مَنْجَا مِنَ اللَّهِ، فَطَرَحُوهُ وَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْمَاءَ وَتَصَوَّبَ بِهِ.

وَانْطَلَقَ بِهِ الْحُوتُ إِلَى مَسْكَنِهِ مِنَ الْبَحْرِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى قَرَارِ الأَرْضِ فَطَافَ بِهِ الْبِحَارَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَسَمِعَ يُونُسُ تَسْبِيحَ الْحَصَى وَتَسْبِيحَ الْحِيتَانِ.

فَجَعَلَ يُسَبِّحُ وَيُهَلِّلُ وَيُقَدِّسُ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: سَيِّدِي! فِي السَّمَاءِ مَسْكَنُكَ وَفِي الأَرْضِ قُدْرَتُكَ وَعَجَائِبُكَ سَيِّدِي! مِنَ الْجِبَالِ أَهْبَطْتَنِي وَفِي الْبِلادِ سَيَّرْتَنِي وَفِي الظُّلُمَاتِ الثَّلاثِ حَبَسْتَنِي، إِلَهِي سَجَنْتَنِي بِسِجْنٍ لَمْ تَسْجِنْ بِهِ أَحَدًا قَبْلِي، إِلَهِي! عَاقَبْتَنِي بِعُقُوبَةٍ لَمْ تُعَاقِبْ بِهَا أَحَدًا قَبْلِي.

---

[1] يعني أصابته القرعة.

فَلَمَّا كَانَ تَمَامُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَصَابَهُ الْغَمُّ {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} فَسَمِعَتِ الْمَلائِكَةُ بُكَاءَهُ وَعَرَفُوا صَوْتَهُ وَبَكَتِ الْمَلائِكَةُ.لِبُكَاءِ يُونُسَ وَبَكَتِ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَالْحِيتَانُ.

فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا ملائكتي! ما لِي أَرَاكُمْ تَبْكُونَ؟ قَالُوا: رَبَّنَا! صَوْتٌ ضَعِيفٌ حَزِينٌ نَعْرِفُهُ فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ. قَالَ: ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالُوا: يَا رَبِّ! الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ لَهُ فِي كِلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْكَثِيرُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: نَعَمْ! قال: فشفعتْ له الملائكةُ والسماواتُ وَالأَرْضُ فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى الْحُوتِ الَّذِي حَبَسْتُ يُونُسَ فِي بَطْنِهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ لِي فِي عَبْدِي حَاجَةً فَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي ابْتَلَعْتَهُ فِيهِ فَاقْذِفْهُ بِهِ.

فَانْطَلَقَ جِبْرِيلُ إِلَى الْحُوتِ فَأَخْبَرَهُ، فَانْطَلَقَ الْحُوتُ بِيُونُسَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَبِّ! اسْتَأْنَسْتُ فِي الْبَحْرِ بِتَسْبِيحِ عَبْدِكَ وَاسْتَأْنَسَتْ بِهِ دَوَابُّ الْبَحْرِ وَكُنْتُ أَزْكَى شَيْءٍ بِهِ وَجَعَلْتَ بَطْنِي لَهُ مُصَلًّى يُقَدِّسُكَ فِيهِ فَقَدَّسْتُ بِهِ وَمَا حَوْلِي مِنَ الْبِحَارِ فَتُخْرِجُهُ عَنِّي بَعْدَ أُنْسٍ كَانَ بِهِ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي أَقَلْتُهُ عَثْرَتَهُ وَرَحِمْتُهُ فَأَلْقِهِ.

فَجَاءَ بِهِ إِلَى حَيْثُ ابْتَلَعَهُ بِبَلَدٍ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ، فَدَنَا جِبْرِيلُ مِنَ الْحُوتِ وَقَرَّبَ فَاهُ مِنْ فَمِ الْحُوتِ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا يُونُسُ! رَبُّ الْعِزَّةِ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، فَقَالَ يُونُسُ: مَرْحَبًا بِصَوْتٍ كُنْتُ خَشِيتُ أَنْ لا أَسْمَعَهُ أَبَدًا، مَرْحَبًا بِصَوْتٍ كُنْتُ أَرْجُوهُ قَرِيبًا مِنْ سَيِّدِي.

ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ لِلْحُوتِ: اقْذِفْ يُونُسَ بِإِذْنِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ! فَقَذَفَهُ مِثْلَ الْفَرْخِ الْمَمْعُوطِ[١] الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ رِيشٌ، فَاحْتَضَنَهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ –.

فَأَنْبَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَهُوَ الدُّبَّاءُ، فَكَانَ لَهَا ظِلٌّ وَاسِعٌ يَسْتَظِلُّ بِهِ، وَأُمِرَتْ أَنْ تُرْضِعَهُ أَعْصَانَهَا فَكَانَ يَرْضَعُ مِنْهَا كَمَا يَرْضَعُ الصَّبِيُّ.

وَبَعَثَ اللَّهُ إِلَى يُونُسَ وَعْلَةً مِنْ وُعُولِ الْجَبَلِ يَدِرُّ ضَرْعُهَا لَبَنًا حَتَّى جَاءَتْ إِلَى يُونُسَ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ، ثُمَّ رَبَضَتْ وَجَعَلَتْ ثَدْيَهَا فِي فِي يُونُسَ، فَكَانَ يَمُصُّهُ كَمَا يَمُصُّ الصَّبِيُّ، فَإِذَا شَبِعَ انْصَرَفَتْ، فَكَانَتْ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ وَنَبَتَ عَلَيْهِ شَعْرُهُ خَلْقًا جَدِيدًا، وَرَجَعَ إِلَى حَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ.

فَمَرَّتْ بِهِ مَارَّةٌ فَكَسَوْهُ كِسَاءً، فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ نَائِمٌ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الشَّمْسِ أَنِ احرقي شجرةَ يونسَ، فأحرقتْها، فَأَصَابَتِ الشَّمْسُ جِلْدَهُ فَأَحْرَقَتْهُ فَقَالَ: يَا رَبِّ! نَجَّيْتَنِي مِنَ الظُّلُمَاتِ وَرَزَقْتَنِي ظِلَّ شَجَرَةٍ كُنْتُ أَسْتَظِلُّ بِهَا فَأَحْرَقْتَهَا أَفَتَحْرِمُنِي يَا رَبِّ؟ وَبَكَى.

---

[١] الذي تساقط شعره.

فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – فَقَالَ: يَا يُونُسُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: أَنْتَ زَرَعْتَهَا أَمْ أَنْتَ أَنْبَتَّهَا؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَبُكَاؤُكَ حِينَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَهَا فَكَيْفَ دَعَوْتَ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ وَزِيَادَةِ عِشْرِينَ أَلْفًا أَرَدْتَ أَنْ تُهْلِكَهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ؟!

فَعِنْدَ ذَلِكَ عَرَفَ يُونُسُ ذَنْبَهُ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ فَغَفَرَ لَهُ.

وَلَمَّا قَوِيَ يُونُسُ كَانَ يَخْرُجُ مِنَ الشَّجَرَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا فأَتَى عَلَى رَجُلٍ يَصْنَعُ الْجِرَارَ فَقَالَ يُونُسُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا عَمَلُكَ؟ قَالَ: أَصْنَعُ الْجِرَارَ وَأَبِيعُهَا وَأَطْلُبُ فِيهَا فَضْلَ اللَّهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى يُونُسَ: أَنْ قُلْ لَهُ يَكْسِرْ جِرَارَهُ، فَقَالَ يُونُسُ ذَلِكَ لَهُ فَغَضِبَ الْجَرَّارُ وَقَالَ: إِنَّكَ رَجُلُ سوءٍ! تَأْمُرُنِي بِالْفَسَادِ وَتَأْمُرُنِي أَنْ أَكْسِرَ شَيْئًا صَنَعْتُهُ وَعَمِلْتُهُ وَرَجَوْتُ خَيْرَهُ.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى يُونُسَ: أَلا تَرَى إِلَى هَذَا الْجَرَّارِ كَيْفَ غَضِبَ حِينَ أَمَرْتَهُ بِكَسْرِ مَا صَنَعَ؟ وَأَنْتَ تَأْمُرُنِي بِهَلاكِ قَوْمِكَ! فَمَا الَّذِي يَشُقُّ عَلَيْكَ أَنْ يَصْلُحَ مِنْ قَوْمِكَ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ! قَالَ: اللَّهُ سُبْحَانَهُ: {فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} . يَعْنِي مِنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ الْبَلِيَّةُ {لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ كَانَ ذَاكِرًا لِلَّهِ فِي الرَّخَاءِ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الشِّدَّةِ وَاسْتَجَابَ لَهُ، وَمَنْ يَغْفَلْ عَنِ اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ وَذَكَرَهُ فِي الشِّدَّةِ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ. وَقَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}. فَقَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالصَّالِحِينَ إِذَا وَقَعُوا فِي الْخَطِيئَةِ ثُمَّ تَابُوا إِلَيَّ قَبِلْتُ مِنْهُمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعَا أَخِي يُونُسُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ فِي الظُّلُمَاتِ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ فَلا يَدْعُو بِهَا مُؤْمِنٌ مَكْرُوبٌ إِلا كَشَفَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ذَلِكَ عَنْهُ إِنَّهَا عِدَةٌ مِنَ اللَّهِ لا خُلْفَ لها"[١].

توبة قوم موسى عليه السلام

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: "لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ، وَأَحْرَقَ الْعِجْلَ وَذَرَّاهُ فِي الْيَمِّ؛ وخَرَجَ إِلَى رَبِّهِ بِمَنِ اخْتَارَ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ، ثُمَّ بُعِثُوا، سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ التَّوْبَةَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ. فَقَالُوا لِمُوسَى: نَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ، فَأَمَرَ مُوسَى مَنْ لَمْ يَكُنْ عَبَدَ الْعِجْلَ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ عَبَدَهُ، فَجَلَسُوا بِالْأَفْنِيَةِ وَأَصْلَتَ عَلَيْهِمُ الْقَوْمُ السُّيُوفَ، فَجَعَلُوا

[١] رواه الترمذي ٢٥٠٥ وأحمد ١/١٧٠.

يَقْتُلُونَهُمْ، وَبَكَى مُوسَى وَبَهَشَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَطْلُبُونَ الْعَفْوَ عَنْهُمْ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ، وَأَمَرَ مُوسَى أَنْ تُرْفَعَ عَنْهُمُ السُّيُوفُ"[١].

ذكر التوابين من الأمم الماضية

توبة أصحاب الغار

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ إِذْ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ فِي غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ بَابَ الْغَارِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً فَادْعُوهُ بِهَا، فَدَعَوُا اللَّهَ – عَزَّ وَجَلَّ – فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَةٌ وَصِبْيَانٌ، فَكُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ إِلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنَّهُ نَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أحلبُ فجئتُ فقمتُ عند رؤوسِهما أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا فَجَعَلُوا يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ

---

[١] انظر تفسير الطبري.

وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ؛ فَفَرَّجَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ فُرْجَةً.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ! إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ فَأَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى آتِيهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ! فَفَرَّجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ! إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ فَثَمَّرْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ بِهِ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَظْلِمْنِي حَقِّي فَقُلْتُ: انْطَلِقْ فَخُذْ تِلْكَ وَرِعَاءَهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ ولا تستهزئْ بي فقلتُ: إني لا أستهزئُ بِكَ فَخُذْ تِلْكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافرج لنا ما بقي. ففرجها الله عنهم"[١].

توبة الكِفْل

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا قَالَ: "كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ

[١] رواه البخاري ٢٢١٥ ومسلم ٢٧٤٣ .

فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ ارْتَعَدَتْ وَبَكَتْ فقال لها: ما يُبكيكِ؟! أكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لا وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ.

قَالَ: فَلِمَ تَفْعَلِينَ هَذَا وَلَمْ تَكُونِي فَعَلْتِيهِ قَطُّ؟

قَالَتْ: حَمَلَتْنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ.

فَتَرَكَهَا ثُمَّ قَالَ: اذْهَبِي وَالدَّنَانِيرُ لَكِ. ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لا يَعْصِي اللَّهَ الْكِفْلُ أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ: غَفَرَ اللَّهُ لِلْكِفْلِ"[١].

توبة القصَّاب

قالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ: إنَّ قَصَّابًا، وَلِعَ بِجَارِيَةٍ لِبَعْضِ جِيرَانِهِ، فَأَرْسَلَهَا أَهْلُهَا إِلَى حَاجَةٍ لَهُمْ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَتَبِعَهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، لَأَنَا أَشَدُّ حُبًّا لَكَ مِنْكَ لِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، قَالَ: فَأَنْتِ تَخَافِينَهُ وَأَنَا لَا أَخَافُهُ! فَرَجَعَ تَائِبًا، فَأَصَابَهُ الْعَطَشُ حَتَّى كَادَ يَنْقَطِعُ عُنُقُهُ، فَإِذَا هُوَ بِرَسُولِ لِبَعْضِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسَأَلَهُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: الْعَطَشُ، قَالَ: تَعَالَ حَتَّى نَدْعُوَ اللَّهَ حَتَّى تُظِلَّنَا سَحَابَةٌ حَتَّى نَدْخُلَ الْقَرْيَةَ، قَالَ: مَا لِي مِنْ عَمَلٍ فَأَدْعُو؛ قَالَ: فَأَنَا أَدْعُو وَأَمِّنْ أَنْتَ، فَدَعَا الرَّسُولُ وَأَمَّنَ هُوَ، فَأَظَلَّتْهُمْ

---

[١] قال الألباني في (ضعيف الجامع الصغير وزيادته): ضعيف.

سَحَابَةٌ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْقَرْيَةِ، فَأَخَذَ الْقَصَّابُ إِلَى مَكَانِهِ، وَمَالَتِ السَّحَابَةُ فَمَالَتْ عَلَيْهِ، فَرَجَعَ الرَّسُولُ فَقَالَ لَهُ: زَعَمْتَ أَنْ لَيْسَ لَكَ عَمَلٌ وَأَنَا الَّذِي دَعَوْتُ وَأَنْتَ الَّذِي أَمَّنْتَ فَأَظَلَّتْنَا سَحَابَةٌ، ثُمَّ تَبِعَتْكَ، لَتُخْبِرَنِّي مَا أَمْرُكَ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ: التَّائِبُ إِلَى اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَكَانِهِ[١].

توبةُ صاحبِ الرَّغيف

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أَبَا مُوسَى[٢] الْوَفَاةُ قَالَ: «يَا بَنِيَّ اذْكُرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ؛ كَانَ رَجُلٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ، سَبْعِينَ سَنَةً، لَا يَنْزِلُ إِلَّا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَشَبَّهَ الشَّيْطَانُ فِي عَيْنِهِ امْرَأَةً، فَكَانَ مَعَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَ لَيَالٍ، ثُمَّ كُشِفَ عَنِ الرَّجُلِ غِطَاؤُهُ فَخَرَجَ تَائِبًا، فَكَانَ كُلَّمَا خَطَا خُطْوَةً صَلَّى وَسَجَدَ، فَآوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى دُكَّانٍ كَانَ عَلَيْهِ اثْنَا عَشَرَ مِسْكِينًا، فَأَدْرَكَهُ الْعَيَاءُ فَرَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، وَكَانَ ثَمَّ رَاهِبٌ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ كُلَّ لَيْلَةٍ بِأَرْغِفَةٍ فَيُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، فَجَاءَ صَاحِبُ الرَّغِيفِ فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، وَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ تَائِبًا فَظَنَّ أَنَّهُ مِسْكِينٌ فَأَعْطَاهُ رَغِيفًا، فَقَالَ الْمَتْرُوكُ لِصَاحِبِ الرَّغِيفِ: مَا لَكَ لَمْ تُعْطِنِي رَغِيفِي مَا كَانَ بِكَ عَنْهُ غِنًى؟ فَقَالَ: أَتُرَانِي أَمْسَكْتُهُ عَنْكَ؟ سَلْ: هَلْ أَعْطَيْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ رَغِيفَيْنِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ:

---

[١] ورواه ابن أبي الدنيا في "التوبة.

[٢] أبو موسى الأشعري الصحابي الجليل.

تُرَانِي أَمْسَكْتُهُ عَنْكَ، وَاللهِ لَا أُعْطِيكَ اللَّيْلَةَ شَيْئًا، فَعَمَدَ التَّائِبُ إِلَى الرَّغِيفِ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي تُرِكَ، فَأَصْبَحَ التَّائِبُ مَيِّتًا، فَوُزِنَتِ السَّبْعُونَ سَنَةً بِالسَّبْعِ اللَّيَالِي فَرَجَحَتِ السَّبْعُ اللَّيَالِي، ثُمَّ وُزِنَتِ السَّبْعُ اللَّيَالِي بِالرَّغِيفِ فَرَجَحَ الرَّغِيفُ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: «يَا بَنِيَّ اذْكُرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ»[١].

توبة راهب من بني إسرائيل

عَنْ مُغِيثِ بْنِ سَمِيٍّ[٢] قَالَ: تَعَبَّدَ رَاهِبٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي صَوْمَعَةٍ سِتِّينَ سَنَةً فَنَظَرَ يَوْمًا فِي غِبِّ السَّمَاءِ فَأَعْجَبَتْهُ الْأَرْضُ فَقَالَ: لَوْ نَزَلْتُ فَمَشَيْتُ فِي الْأَرْضِ وَنَظَرْتُ فِيهَا، فَنَزَلَ وَنَزَلَ مَعَهُ بِرِغِيفٍ، فَعَرَضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فَتَكَشَّفَتْ لَهُ فَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ وَقَعَ عَلَيْهَا فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَجَاءَ سَائِلٌ فَأَعْطَاهُ الرَّغِيفَ وَمَاتَ، فَجِيءَ بِعَمَلِ سِتِّينَ سَنَةً فَوُضِعَ فِي كِفَّةٍ، وَجِيءَ

---

[١] رواه أبو نعيم في الحلية.

[٢] مغيث بن سمي الأوزاعي: تابعي، واحد رواة الحديث. أدرك زهاء ألف من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكره ابن حبان في الثقاة، وذكره ابن سميع في الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام وقد أدرك الزبير وكعبًا.

بِخَطِيئَتِهِ فَوُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ فَرَجَحَتْ بِعَمَلِهِ، حَتَّى جِيءَ بِالرَّغِيفِ فَوُضِعَ مَعَ عَمَلِهِ فَرَجَحَ بِخَطِيئَتِهِ[١].

توبة رجلين من بني إسرائيل

عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ: "بَيْنَمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ يُصَلُّونَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِذْ جَاءَ رَجُلَانِ، فَدَخَلَ أَحَدُهُمَا، وَلَمْ يَدْخُلِ الْآخَرُ، وَقَامَ خَارِجًا عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: أَنَا أَدْخُلُ بَيْتَ اللَّهِ، لَيْسَ مِثْلِي يَدْخُلُ بَيْتَ اللَّهِ، وَقَدْ عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَجَعَلَ يَبْكِي، وَلَمْ يَدْخُلْ"، قَالَ كَعْبٌ: «فَكُتِبَ مِنَ الْغَدِ أَنَّهُ صِدِّيقٌ»[٢].

وقَالَ: وَأَصَابَ رجلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَنْبًا، فحَزِنَ عليه، وجَعَلَ يجيء وَيَذْهَبُ، وَيَقُولُ: بِمَ أُرْضِي رَبِّي؟ بِمَ أُرْضِي رَبِّي؟ فَكُتِبَ صِدِّيقًا[٣].

توبة من قَتَلَ مائةَ نفْسٍ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ علَى راهِبٍ، فأتاهُ فقالَ: إنَّه قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مِئَةً، ثُمَّ

---

[١] رواه أبو نعيم في الحلية. وهو نفسه الخبر السابق (صاحب الرغيف).

[٢] انظر: الحلية لأبي نعيم، والزهد والرقائق لابن المبارك.

[٣] انظر: شعب الإيمان للبيهقي.

سَأَلَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ علَى رَجُلٍ عالِمٍ، فقالَ: إنَّه قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَن يَحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التَّوْبَةِ! انْطَلِقْ إلى أرْضِ كَذا وكَذا، فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ معهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أرْضِكَ، فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ، فانْطَلَقَ حتَّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أتاهُ الْمَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فقالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَ تائِبًا مُقْبِلًا بقَلْبِهِ إلى اللهِ، وقالَتْ مَلائِكَةُ العَذابِ: إنَّه لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فأتاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بيْنَهُمْ، فقالَ: قِيسُوا ما بيْنَ الأرْضَيْنِ، فَإِلَى أيَّتِهِما كانَ أدْنَى فَهو له، فَقاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدْنَى إلى الأرْضِ الَّتي أرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ[1].

توبة لص من بني إسرائيل

عَنْ وُهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ[2]، قَالَ: "بَلَغَنَا أَنَّ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – مَرَّ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ حَوَارِيِّهِ بِلِصٍّ فِي قَلْعَةٍ لَهُ، فَلَمَّا رَآهُمَا اللِّصُّ أَلْقَى اللهُ فِي قَلْبِهِ التَّوْبَةَ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ: هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ روحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، وَهَذَا فُلَانٌ حَوَارِيُّهُ، وَمَنْ أَنْتَ يَا شَقِيُّ؟ لِصُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ قَطَعْتَ الطَّرِيقَ وَأَخَذْتَ الْأَمْوَالَ وسَفَكْتَ الدِّمَاءَ. ثُمَّ هَبَطَ إِلَيْهِمَا تَائِبًا نَادِمًا عَلَى مَا كَانَ

---

[1] رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

[2] وُهَيْب بنُ الورد بن أَبي الورد القرشي: من العباد وأحد رواة الحديث النبوي من تابعي التابعين، توفي ١٥٣ هـ.

مِنْهُ، فَلَمَّا لَحِقَهُمَا قَالَ لِنَفْسِهِ: تُرِيدُ أَنْ تَمْشِيَ مَعَهُمَا؟ لَسْتَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ؛ امْشِ خَلْفَهُمَا كَمَا يَمْشِي الْخَطَّاءُ الْمُذْنِبُ مِثْلُكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الْحَوَارِيُّ فَعَرَفَهُ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: انْظُرْ هَذَا الْخَبِيثَ الشَّقِيَّ وَمَشْيَهُ وَرَاءَنَا. فَاطَّلَعَ اللهُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمَا: مِنْ نَدَامَتِهِ وَتَوْبَتِهِ، وَمِنَ ازْدِرَاءِ الْحَوَارِيِّ إِيَّاهُ وَتَفْضِيلِهِ نَفْسَهُ عَلَيْهِ؛ فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ مُرِ الْحَوَارِيَّ وَلَصَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْتَنِفَا الْعَمَلَ[١] جَمِيعًا: أَمَّا اللِّصُّ فَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ مَا مَضَى لِنَدَامَتِهِ وَتَوْبَتِهِ، وَأَمَّا الْحَوَارِيُّ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ لِعُجْبِهِ بِنَفْسِهِ وَازْدِرَائِهِ هَذَا التَّائِبَ"[٢].

توبة ثلاث بنات من البغايا

قَالَ حسنٌ أَبُو جَعْفَر: كَانَ لُقْمَانُ الحبشيُّ عبدًا لرجلٍ جَاءَ بِهِ إِلَى السُّوقِ لِيَبِيعهُ، فَكَانَ كلما جَاءَ إِنْسَانٌ يَشْتَرِيهِ قَالَ لَهُ لُقْمَان: مَا تصنعُ بِي؟ قَالَ: أصنعُ بك كَذَا وَكَذَا، قَالَ: حَاجَتِي إِلَيْك أَن لَا تشترِيَنِي.

حَتَّى جَاءَ رجلٌ فَقَالَ: مَا تصنعُ بِي؟ قَالَ: أُصيِّرُكَ بوابًا على بَابِي، قَالَ: أَنْتَ اشترِنِي، فَاشْتَرَاهُ، وَجَاء بِهِ إِلَى دَارِه، وَكَانَ لِمَوْلَاهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يَبْغِينَ فِي الْقَرْيَةِ[٣]،

---

[١] يبدأ كل منهما العمل من جديد.

[٢] ورواه أبو نعيم في الحلية.

[٣] يزنين ويتكسبن من الزنا.

وَأَرَادَ أَن يخرجَ إِلَى ضَيْعَةٍ لَهُ فَقَالَ: إِنِّي قد أدخلتُ إِلَيْهِنَّ طعامهنَّ وَمَا يحتجْنَ إِلَيْهِ فَإِذا خرجْتُ فأغلِقِ الْبَابَ واقعُدْ من وَرَائه وَلَا تفتحْه حَتَّى أجيء.

فخَرجْنَ إِلَيْهِ كَمَا كنَّ يخْرُجنَ، فَقُلْنَ لَهُ: افْتَحْ الْبَابَ، فَأبى عَلَيْهِنَّ فشَجَجْنَه، فَغسَلَ الدَّمَ وَجلسَ. فَلَمَّا قدمَ لم يُخبرْهُ.

ثمَّ عَاد مَوْلَاهُ بعدُ إِلى الْخُرُوج فَقَالَ: إِنِّي قد أدخلتُ إِلَيْهِنَّ مَا يحتجْنَ إِلَيْهِ فَلَا تفتحَنَّ الْبَابَ. فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجْنَ إِلَيْهِ فَقُلْنَ لَهُ: افْتَحْ! فَأبى؛ فشَجَجْنَه ورجَعْنَ؛ فَجَلَسَ يبكي. فَلَمَّا جَاءَ الْمولى لم يُخبرهُ بِشَيْء. فَقَالَتِ الْكَبِيرَةُ: وَمَا بَالُ هَذَا العَبْدِ الحبشيّ أولى بِطَاعَة اللَّهِ عز وَجل مني! وَاللهِ لأتوبنَّ، فتابت. فَقَالَت الصُّغْرَى: وَمَا بَالُ هَذَا العَبْدِ الحبشيّ وَهَذِه الْكُبْرَى أولى بِطَاعَة الله مني! وَالله لأتوبنَّ، فتابت: فَقَالَت الْوُسْطَى: مَا بَال هَاتَين وَهَذَا العَبْدِ الحبشيّ أولى بِطَاعَة اللَّهِ عز وَجل مني! وَالله لأتوبنَّ. فَقُلْنَ غواةُ الْقَرْيَة: مَا بَال هَذَا العَبْدِ الحبشيّ وَبَنَاتِ فلَانٍ أولى بِطَاعَة اللَّهِ عز وَجلَّ منا! فتبْنَ إِلَى اللَّهِ عز وَجل، فَكُن عوابدَ الْقَرْيَة[١].

توبةُ صاحبِ فاحشة

عَنْ كَعْب الْأَحْبَار أَن رَجُلًا من بَنِي إِسْرَائِيل أَتَى فَاحِشَةً فَدخلَ نَهرًا يغْتَسلُ فِيهِ، فناداه الماءُ: يَا فُلانُ أَلا تَسْتَحي؟ أَلم تتبْ مِنْ هَذَا الذَّنبِ فَقلتَ إِنَّك

[١] انظر: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش لابن الجوزي.

لَا تعود فِيهِ؟ فَخرج من الْمَاء فَزعًا وَهُوَ يَقُولُ: لَا أعصي اللَّهَ، فَأتى جبلًا فِيهِ اثْنَا عشرَ رَجُلًا يعْبدُونَ اللَّهَ، فَلم يزلْ مَعَهم حَتَّى تَخَطَّوْا موضعَهم فنزلُوا يطْلبُونَ الكَلأَ، فمرُّوا عَلَى ذَلِكَ النَّهر، فَقَالَ الرَّجُل: أمَّا أَنَا فلستُ بذاهبٍ مَعكُمْ، قَالُوا لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: لأنَّ ثَمَّ مَنْ قَدِ اطَّلع مني عَلَى خطيئةٍ فَأَنا أستحيي مِنْهُ أَن يراني، فَتَرَكُوهُ ومَضَوْا، فناداهمُ النَّهرُ: يَا أَيُّهَا الْعُبَّاد! مَا فَعَلَ صَاحبُكُم؟ قَالُوا: زَعَمَ لَنا أَنَّ هَهُنَا مَنْ قَدِ اطلع مِنْهُ عَلَى خطيئةٍ فَهُوَ يستحيي مِنْهُ أَن يرَاهُ، قَالَ: يَا سُبْحَانَ الله! إِن بَعْضَكُم ليغضبُ على وَلَدِه أَو على قراباتِه، فَإِذا تَابَ وَرجع إِلَى مَا يحبُّ أحبَّه، وَإِنَّ صَاحبَكُم قَدْ تَابَ وَرجعَ إِلَى مَا أُحِبُّ فَأَنا أحبُّه، فائْتُوه فأخْبِرُوه، واعْبُدُوا اللَّه عَلَى شَاطِئِي. فأخبَروهُ فجَاء مَعَهم فأقاموا يعْبدُونَ اللَّهَ زَمَانًا، ثُمَّ إِنَّ صَاحبَ الْفَاحِشَةِ تُوفِّي، فناداهمُ النَّهرُ: يَا أَيهَا الْعُبَّادُ وَالْعَبِيدُ الزُّهادُ! غَسِّلُوه مِن مائي وادْفُنُوه عَلَى شاطئي حَتَّى يُبْعَثَ يوْم الْقِيَامَةِ مِن قُرْبِي، فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ، وَقَالُوا: نَبيتُ ليلتَنا هَذِهِ عَلَى قَبرِه نبْكي، فَإِذا أَصْبَحْنَا سِرْنا، فَبَاتُوا عَلَى قَبرِه يَبْكُونَ، فَلَمَّا جَاءَ وَجْهُ السَّحَرِ غَشِيَهُم النُّعَاسُ، فأصْبَحوا وَقَدْ أَنْبَتَ اللَّهُ عَلَى قَبرِه اثْنَيْ عشرَةَ سَرْوةً[1]، فَكَانَ أَوَّلَ سَروٍ أَنْبَتَهُ الله تَعَالَى عَلَى وَجْه الأَرْض، فَقَالُوا: مَا أنبتَ هَذَا الشّجرَ فِي هَذَا الْمَكَان إِلا وَقَدْ أحبَّ عبادتَنَا فِيهِ، فأقاموا يعْبدُونَ اللَّه عَلَى قَبرِه، كلما

[1] شجرة كبيرة.

مَاتَ مِنْهُم رجلٌ دفنوه إِلَى جَانِبه حَتَّى مَاتُوا بأجمعِهم، قَالَ كَعْبٌ: فَكَانَت بَنو إِسْرَائِيل يحجُّون إِلَى قُبُورِهم[١].

أخبار التائبين من أصحاب رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

توبة أبي خيثمة رضي الله عنه

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: تَخَلَّفَ أَبُو خَيْثَمَةَ[٢] – أَحَدُ بَنِي سَالِمٍ – عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ حَتَّى إِذَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَعَ أَبُو خَيْثَمَةَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهُ فِي حَائِطٍ لَهُمَا قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيَّأَتْ لَهُ طَعَامًا.

فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ يَنْظُرُ ثُمَّ قَالَ: رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الضِّحِّ وَالرِّيحِ وَالْحَرِّ – يَعْنِي بِالضِّحِّ: الشَّمْسَ – وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلٍّ وَمَاءٍ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيَّأٍ وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ! مَا هَذَا بِالنَّصَفِ[٣]! وَاللَّهِ لا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَهَيِّئَا لِي زَادًا،

---

[١] انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، والجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعافى بن زكريا.

[٢] وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ قَيْسٍ.

[٣] العدل والإنصاف.

فَفَعَلَتَا، ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ[١] ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ.

وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عُمَيْرُ بْنُ وهبٍ الجمحيُّ في الطريقِ يطلبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَتَرَافَقَا، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ تَبُوكَ قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ: إِنَّ لِي ذَنْبًا فَلا عَلَيْكَ أَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فَفَعَلَ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِتَبُوكَ.

فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ النَّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ" فَلَمَّا دَنَا قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا وَاللَّهِ أَبُو خَيْثَمَةَ. فَلَمَّا أَنَاخَ سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوْلَى لَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ" ثُمَّ أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَقَالَ لَهُ خَيْرًا وَدَعَا له[٢].

---

[١] يعني الجمل.

[٢] سيرة ابن إسحاق.

توبة مخشّن بن حُمير

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعةُ بْنُ ثَابِتٍ، أَخُو بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ حَلِيفٌ لِبَنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ مُخَشِّن بْنُ حُمَيّر، يُشِيرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَحْسَبُونَ جِلادَ[1] بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؟ وَاللَّهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنين فِي الْحِبَالِ، إِرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ مُخَشِّن بْنُ حُمَيّر: وَاللَّهِ لوددْتُ أَنِّي أُقَاضَى عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وإِمَّا نَنْفَلتُ أَنْ يُنَزَّلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: "أَدْرِكِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَى، قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا". فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِها: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فَقَالَ مُخَشِّن بْنُ حُمَيّر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِيَ اسْمِي وَاسْمُ أَبِي. فَكَانَ الَّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُخَشِّن بْنُ حُمَيّر، فَتَسَمَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ،

---

[1] جلاد: قتال.

وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ[١].

توبة كعب بن مالك رضي الله عنه

عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عن رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في غَزْوَةٍ غَزَاهَا إلَّا في غَزْوَةِ تَبُوكَ، غيرَ أنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولَمْ يُعَاتِبْ أحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إنَّما خَرَجَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حتَّى جَمَعَ اللَّهُ بيْنَهُمْ وبيْنَ عَدُوِّهِمْ علَى غيرِ مِيعَادٍ، ولقَدْ شَهِدْتُ مع رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا علَى الإسْلَامِ، وما أُحِبُّ أنَّ لي بهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإنْ كَانَتْ بَدْرٌ أذْكَرَ في النَّاسِ منها، كانَ مِن خَبَرِي: أنِّي لَمْ أكُنْ قَطُّ أقْوَى ولَا أيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عنْه في تِلكَ الغَزَاةِ، واللَّهِ ما اجْتَمعتْ عِندِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حتَّى جَمَعْتُهُما في تِلكَ الغَزْوَةِ، ولَمْ يَكُنْ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إلَّا وَرَّى بغَيْرِهَا، حتَّى كَانَتْ تِلكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في حَرٍّ شَدِيدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا ومَفَازًا وعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أمْرَهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فأخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِ الذي يُرِيدُ، والْمُسْلِمُونَ مع رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كَثِيرٌ، ولَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ

---

[١] السابق.

حَافِظٌ – يُرِيدُ الدِّيوَانَ – قَالَ كَعْبٌ: فَما رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَتَغَيَّبَ إلَّا ظَنَّ أنْ سَيَخْفَى له، ما لَمْ يَنْزِلْ فيه وَحْيُ اللَّهِ، وغَزَا رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تِلكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ والظِّلَالُ، وتَجَهَّزَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والْمُسْلِمُونَ معهُ، فَطَفِقْتُ أغْدُو لِكَيْ أتَجَهَّزَ معهُمْ، فأرْجِعُ ولَمْ أقْضِ شيئًا، فأقُولُ في نَفْسِي: أنَا قَادِرٌ عليه، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بي حتَّى اشْتَدَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصْبَحَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ والْمُسْلِمُونَ معهُ، ولَمْ أقْضِ مِن جَهَازِي شيئًا، فَقُلتُ: أتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بيَومٍ أوْ يَومَيْنِ، ثُمَّ ألْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أنْ فَصَلُوا لِأتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ ولَمْ أقْضِ شيئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ ولَمْ أقْضِ شيئًا، فَلَمْ يَزَلْ بي حتَّى أسْرَعُوا وتَفَارَطَ الغَزْوُ، وهَمَمْتُ أنْ أرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، ولَيْتَنِي فَعَلْتُ! فَلَمْ يُقَدَّرْ لي ذلكَ، فَكُنْتُ إذَا خَرَجْتُ في النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَطُفْتُ فيهم، أحْزَنَنِي أنِّي لا أرَى إلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عليه النِّفَاقُ، أوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ.

قال كعبٌ: ولَمْ يَذْكُرْنِي رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وهو جَالِسٌ في القَوْمِ بتَبُوكَ: ما فَعَلَ كَعْبٌ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ: يا رَسولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ونَظَرُهُ في عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ: بئْسَ ما قُلْتَ، واللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ ما عَلِمْنَا عليه إلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

قَالَ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّه تَوَجَّهَ قَافِلًا، حَضَرَنِي هَمِّي، وطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِن سَخَطِهِ غَدًا؟! واسْتَعَنْتُ على ذلكَ بكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِن أَهْلِي، فَلَمَّا قيلَ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ منه أَبَدًا بشَيءٍ فيه كَذِبٌ، فأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وأَصْبَحَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَادِمًا، وكانَ إذَا قَدِمَ مِن سَفَرٍ، بَدَأَ بالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ ويَحْلِفُونَ له، وكَانُوا بِضْعَةً وثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ منهمْ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لهمْ، ووَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عليه تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ، فَجِئْتُ أَمْشِي حتَّى جَلَسْتُ بيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: ما خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟ فَقُلتُ: بَلَى، إنِّي واللَّهِ لو جَلَسْتُ عِنْدَ غيرِكَ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِن سَخَطِهِ بعُذْرٍ، ولقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، ولَكِنِّي واللَّهِ، لقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليومَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى به عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، ولَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إنِّي لَأَرْجُو فيه عَفْوَ اللَّهِ، لا واللَّهِ، ما كانَ لي مِن عُذْرٍ، واللَّهِ ما كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، ولَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَمَّا هذا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ. فَقُمْتُ، وثَارَ رِجَالٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقالوا لِي: واللَّهِ ما عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذا، ولقَدْ

عَجَزْتَ أنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إلى رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بما اعْتَذَرَ إلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قدْ كانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَكَ، فَوَاللَّهِ ما زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حتَّى أرَدْتُ أنْ أرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلتُ لهمْ: هلْ لَقِيَ هذا مَعِي أحَدٌ؟ قالوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ ما قُلْتَ، فقِيلَ لهما مِثْلُ ما قيلَ لَكَ، فَقُلتُ: مَن هُما؟ قالوا: مُرَارَةُ بنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وهِلَالُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِما أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُما لِي، ونَهَى رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المسْلِمِينَ عن كَلَامِنَا أيُّها الثَّلَاثَةُ مِن بَيْنِ مَن تَخَلَّفَ عنْه، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وتَغَيَّرُوا لَنَا حتَّى تَنَكَّرَتْ في نَفْسِي الأرْضُ، فَما هي الَّتي أعْرِفُ، فَلَبِثْنَا علَى ذلكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فأمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وقَعَدَا في بُيُوتِهِما يَبْكِيَانِ، وأَمَّا أنَا، فَكُنْتُ أشَبَّ القَوْمِ وأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أخْرُجُ فأشْهَدُ الصَّلَاةَ مع الْمُسْلِمِينَ، وأَطُوفُ في الأسْوَاقِ ولَا يُكَلِّمُنِي أحَدٌ، وآتي رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَأُسَلِّمُ عليه وهو في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فأقُولُ في نَفْسِي: هلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بردِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا منه، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أقْبَلْتُ علَى صَلَاتِي أقْبَلَ إلَيَّ، وإذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أعْرَضَ عَنِّي، حتَّى إذَا طَالَ عَلَيَّ ذلكَ مِن جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيتُ حتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أبِي قَتَادَةَ، وهو ابنُ عَمِّي وأَحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عليه، فَوَاللَّهِ ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلتُ: يا أبَا قَتَادَةَ، أنْشُدُكَ باللَّهِ، هلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ؟ فَسَكَتَ،

فَعُدْتُ له فَنَشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ له فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وتَوَلَّيْتُ حتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ.

قَالَ: فَبَيْنَا أنَا أمْشِي بسُوقِ الْمَدِينَةِ، إذَا نَبَطِيٌّ مِن أنْبَاطِ أهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بالْمَدِينَةِ، يقولُ: مَن يَدُلُّ علَى كَعْبِ بنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ له، حتَّى إذَا جَاءَنِي دَفَعَ إلَيَّ كِتَابًا مِن مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أمَّا بَعْدُ؛ فإنَّه قدْ بَلَغَنِي أنَّ صَاحِبَكَ قدْ جَفَاكَ، ولَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بدَارِ هَوَانٍ ولَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وهذا أيضًا مِنَ البَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بهَا، حتَّى إذَا مَضَتْ أرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إذَا رَسولُ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَأْمُرُكَ أنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أمْ مَاذَا أفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا ولَا تَقْرَبْهَا، وأَرْسَلَ إلى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذلكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ في هذا الأمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بنِ أُمَيَّةَ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ: إنَّ هِلَالَ بنَ أُمَيَّةَ شيخٌ ضَائِعٌ، ليسَ له خَادِمٌ، فَهلْ تَكْرَهُ أنْ أخْدُمَهُ؟ قَالَ: لَا، ولَكِنْ لا يَقْرَبْكِ. قَالَتْ: إنَّه واللَّهِ ما به حَرَكَةٌ إلى شَيءٍ، واللَّهِ ما زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كانَ مِن أمْرِهِ ما كانَ إلى يَومِهِ هذا، فَقَالَ لي بَعْضُ أهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في امْرَأَتِكَ كما أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بنِ أُمَيَّةَ أنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: واللَّهِ لا أسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ

عليه وسلَّمَ، وما يُدْرِينِي ما يقولُ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذلكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِن حِينَ نَهَى رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وأَنَا علَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِن بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أنَا جَالِسٌ علَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ؛ قدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وضَاقَتْ عَلَيَّ الأرْضُ بما رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أوْفَى علَى جَبَلِ سَلْعٍ بأَعْلَى صَوْتِهِ: يا كَعْبُ بنَ مَالِكٍ، أبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وعَرَفْتُ أنْ قدْ جَاءَ فَرَجٌ، وآذَنَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وركَضَ إلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وسَعَى سَاعٍ مِن أسْلَمَ، فأوْفَى علَى الجَبَلِ، وكانَ الصَّوْتُ أسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الذي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ له ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إيَّاهُمَا ببُشْرَاهُ، واللَّهِ ما أمْلِكُ غَيْرَهُما يَومَئِذٍ، واسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وانْطَلَقْتُ إلى رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بالتَّوْبَةِ، يَقولونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إلَيَّ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حتَّى صَافَحَنِي وهَنَّانِي، واللَّهِ ما قَامَ إلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، ولَا أنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ علَى رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أبْشِرْ بخَيْرِ يَومٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ ولَدَتْكَ أُمُّكَ، قُلتُ: أمِنْ عِندِكَ يا رَسولَ اللَّهِ أمْ مِن عِندِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِن عِندِ اللَّهِ. وكانَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حتَّى كَأنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وكُنَّا نَعْرِفُ ذلكَ منه، فَلَمَّا جَلَسْتُ بيْنَ يَدَيْهِ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ مِن تَوْبَتِي أنْ أنْخَلِعَ مِن مَالِي صَدَقَةً إلى اللَّهِ وإلَى رَسولِ اللَّهِ، قَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ؛ فَهو خَيْرٌ لَكَ. قُلتُ: فإنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الذي بخَيْبَرَ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ إنَّما نَجَّانِي بالصِّدْقِ، وإنَّ مِن تَوْبَتِي أنْ لا أُحَدِّثَ إلَّا صِدْقًا ما بَقِيتُ. فَوَاللَّهِ ما أعْلَمُ أحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أبْلَاهُ اللَّهُ في صِدْقِ الحَديثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أحْسَنَ ممَّا أبْلَانِي؛ ما تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى يَومِي هذا كَذِبًا، وإنِّي لَأَرْجُو أنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيما بَقِيتُ، وأَنْزَلَ اللَّهُ علَى رَسولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} إلى قَوْلِهِ: {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} فَوَاللَّهِ ما أنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِن نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أعْظَمَ في نَفْسِي مِن صِدْقِي لِرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أنْ لا أكُونَ كَذَبْتُهُ، فأهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا؛ فإنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أنْزَلَ الوَحْيَ - شَرَّ ما

قَالَ لأحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وتَعَالَى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ} إلى قَوْلِهِ: {فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.

قَالَ كَعْبٌ: وكُنَّا تَخَلَّفْنَا أيُّها الثَّلَاثَةُ عن أمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ منهمْ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حِينَ حَلَفُوا له، فَبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لهمْ، وأَرْجَأَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أمْرَنَا حتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذلكَ قَالَ اللَّهُ: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} وليسَ الذي ذَكَرَ اللَّهُ ممَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ؛ إنَّما هو تَخْلِيفُهُ إيَّانَا، وإرْجَاؤُهُ أمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ له واعْتَذَرَ إلَيْهِ فَقَبِلَ منه[1].

توبة أبي لبابة رضي الله عنه

قال الزُّهْرِيُّ: وكان أبو لُبابةَ ممن تخلَّفَ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غزوةِ تبوك، فربطَ نفسَه بساريةٍ ثم قال: واللَّهِ لا أذُوقُ طَعامًا ولا شَرابًا حَتّى أمُوتَ أوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ. فَمَكَثَ سَبْعَةَ أيّامٍ لا يَذُوقُ طَعامًا ولا شَرابًا، حَتّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: يا أبا لُبابَةَ، قَدْ تِيبَ عَلَيْكَ. قالَ: لا واللَّهِ لا أَحُلُّ نَفْسِي حَتّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هو الَّذِي يَحُلُّنِي. فَجاءَهُ فَحَلَّهُ بِيَدِهِ».

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

ثم قال أبو لبابةَ: يا رسولَ الله! إنَّ من توبتي أنْ أهجرَ دارَ قومي التي أصبتُ فيها الذنبَ وأنْ أنخلعَ من مالي صدقةً إلى اللهِ وإلى رسولِه فقال: "يجزئك الثلثُ يا أبا لبابة".

وعَنِ السَّائِبِ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا أَرْسَلَتْ قُرَيْظَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُرْسِلَنِي إِلَيْهِمْ – حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَصْرَ – دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "اذْهَبْ إِلَى حُلَفَائِكَ فَإِنَّهُمْ أَرْسَلُوا إِلَيْكَ مِنْ بَيْنِ الأَوْسِ". فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ فَهَشُّوا إِلَيَّ وَقَالُوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ! نَحْنُ مَوَالِيكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، فَقَامَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ فَقَالَ: أَنَا بَشِيرٌ! قَدْ عَرَفْتَ مَا صَنَعْنَا فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِ قَوْمِكَ يَوْمَ الْحَدَائِقِ وَيَوْمَ بُعَاثٍ وَكُلِّ حَرْبٍ كُنْتُمْ فِيهَا، وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الْحِصَارُ وَهَلَكْنَا وَمُحَمَّدٌ يَأْبَى أَنْ يُفَارِقَ حِصْنَنَا حَتَّى نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِهِ فَلَوْ زَالَ عَنَّا لَحِقْنَا بِأَرْضِ الشَّامِ أَوْ خَيْبَرَ وَلَمْ نُكْثِرْ عَلَيْهِ جَمْعًا أَبَدًا، فَمَا تَرَى فَإِنَّا قَدِ اخْتَرْنَاكَ عَلَى غَيْرِكَ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إِلا أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِهِ قَالَ: نَعَمْ فَانْزِلُوا وَأَوْمَأَ إِلَى حَلْقِهِ: فَهُوَ الذَّبْحُ.

قَالَ: فندمتُ فاسترجعتُ فقال: كعبٌ: مالك يا أَبَا لُبَابَةَ؟ فَقُلْتُ: خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَنَزَلْتُ وَإِنَّ لِحِيَتِي لَمُبْتَلَّةٌ بِالدُّمُوعِ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ رُجُوعِي إِلَيْهِمْ حَتَّى أَخَذْتُ مِنْ وَرَاءِ الْحِصْنِ طَرِيقًا آخَرَ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَارْتَبَطْتُ وَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَابِي وَمَا صَنَعْتُ فَقَالَ: "دَعُوهُ حَتَّى يُحْدِثُ اللَّهُ فِيهِ مَا يَشَاءُ لَوْ كَانَ جَاءَنِي اسْتَغْفَرْتُ لَهُ فَأَمَّا إِذْ لَمْ يَأْتِنِي وَذَهَبَ فَدَعُوهُ".

وَارْتَبَطَ أَبُو لُبَابَةَ سَبْعًا فِي حَرٍّ شَدِيدٍ لا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ وَقَالَ: لا أَزَالُ هَكَذَا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى يُسْمَعَ الصوتُ من الجهد ورَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بُكْرَةً وَعِشِيَّةً ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَنُودِيَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَابَ عَلَيْكَ وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ لِيُطْلِقَ عَنْهُ رِبَاطَهُ فَأَبَى أَنْ يُطْلِقَهُ عَنْهُ أَحَدٌ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَحَدَّثَتْنِي هِنْدُ بِنْتُ الْحَارِثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحِلُّ رِبَاطَهُ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَرْفَعُ صَوْتَهُ يُكَلِّمُهُ وَيُخْبِرُهُ بِتَوْبَتِهِ وَمَا يَدْرِي كَثِيرًا مِمَّا يَقُولُ لَهُ مِنَ الْجَهْدِ وَالضَّعْفِ. وَلَقَدْ كَانَ الرِّبَاطُ حَزَّ فِي ذِرَاعِهِ وَكَانَ مِنْ شَعْرٍ وَكَانَ يُدَاوِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ دَهْرًا.

توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَسْلَمَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: وَكَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَخِفُّ لَهُ. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ فَمَرَّ بِبَابِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَرَأَى امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ تَغْتَسِلُ وَخَافَ أَنْ يَنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا صَنَعَ فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ.

فَأَتَى جِبَالًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَوَلَجَهَا.

فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَإِنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِكَ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ يَتَعَوَّذُ بِي فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عُمَرُ وَيَا سَلْمَانُ! انْطَلِقَا فَأْتِيَانِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ".

فَخَرَجَا مِنْ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ فَلَقِيَا رَاعِيًا مِنْ رُعَاةِ الْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهُ: ذُفَافَةُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِشَابٍّ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ يُقَالُ لَهُ: ثَعْلَبَةُ؟ قَالَ: لَعَلَّكَ تُرِيدُ الْهَارِبَ مِنْ جَهَنَّمَ فَقَالَ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ بِأَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: لأَنَّهُ إِذَا كَانَ جَوْفُ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ وَهُوَ يُنَادِي: يَا لَيْتَكَ قَبَضْتَ رُوحِي فِي الأَرْوَاحِ وَجَسَدِي فِي الأَجْسَادِ وَلَمْ تُجَرِّدْنِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ! فَقَالَ عُمَرُ: إِيَّاهُ نُرِيدُ فَانْطَلَقَ بِهِمَا.

فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَ تِلْكَ الْجِبَالِ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ وَهُوَ يُنَادِي: يَا لَيْتَكَ قَبَضْتَ رُوحِي فِي الأَرْوَاحِ وَجَسَدِي فِي الأَجْسَادِ وَلَمْ تُجَرِّدْنِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ.

فَغَدَا عَلَيْهِ عُمَرُ فَاحْتَضَنَهُ فَقَالَ: يَا عُمَرُ! هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَنْبِي؟ قَالَ: لا عِلْمَ لِي إِلا أَنَّهُ ذَكَرَكَ بِالأَمْسِ فَأَرْسَلَنِي وَسَلْمَانَ فِي طَلَبِكَ.

قَالَ: يَا عُمَرُ! لا تُدْخِلْنِي عَلَيْهِ إِلا وَهُوَ فِي الصَّلاةِ فَابْتَدَرَ عُمَرُ وَسَلْمَانُ الصَّفَّ فَلَمَّا سَمِعَ ثَعْلَبَةُ قِرَاءَةَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَّ مُغْشِيًا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَا عُمَرُ! يَا سَلْمَانُ! مَا فَعَلَ ثَعْلَبَةُ؟ " قَالا: هو ذا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَرَّكَهُ فَانْتَبَهَ.

فَقَالَ لَهُ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "مَا غَيَّبَكَ عَنِّي؟ " قَالَ: ذَنْبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "أَفَلا أَدُلُّكَ عَلَى آيَةٍ تَمْحُو الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا؟ " قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "قُلْ: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}".

قَالَ: ذَنْبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْظَمُ قَالَ: "بَلْ كَلامُ اللَّهِ أَعْظَمُ". ثُمَّ أَمَرَهُ بِالانْصِرَافِ إِلَى مَنْزِلِهِ.

فَمَرِضَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ إِنَّ سَلْمَانَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ لَكَ فِي ثَعْلَبَةَ فَإِنَّهُ لِمَا بِهِ قَدْ هَلَكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ".

فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ رَأْسَهُ فوضعَه عن حِجره فأزال رأسَه عن حِجر رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: "لِمَ أَزَلْتَ رَأْسَكَ عَنْ حِجْرِي؟" قَالَ: لأَنَّهُ مَلآنٌ مِنَ الذُّنُوبِ قَالَ: "مَا تَشْتَكِي؟" قَالَ: مِثْلَ دَبِيبِ النَّمْلِ بَيْنَ عَظْمِي وَلَحْمِي وَجِلْدِي قَالَ: "مَا تَشْتَهِي؟" قَالَ: مَغْفِرَةَ رَبِّي قَالَ: فَنَزَلَ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ: لَوْ أَنَّ عَبْدِي هَذَا لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَقِيتُهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً قَالَ: فَأَعْلَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَصَاحَ صَيْحَةً فمات[١].

توبة عمرو مالك الرؤاسي رضي الله عنه

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الرُّؤَاسِيِّ[٢] عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ أَغَارَ هُوَ وَقَوْمٌ مِنْ بَنِي كِلابٍ عَلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوا فِيهِمْ وَعَبَثُوا بِالنِّسَاءِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ مَالِكًا فَغَلَّ يَدَهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ارْضَ عَنِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ

---

[١] رواه أبو نعيم في الحلية وفي سنده أبو بكر بن المفيد ومنصور بن عمار وشيخه المنكدر بن محمد بن المنكدر وهم ضعفاء. والحديث غير صحيح، وقد ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة وعدَّه في الموضوعات.

[٢] صحابي، من الكوفة.

دَارَ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْضَ عَنِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: ارْضَ عَنِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَيَتَرَضَّى فَيَرْضَى.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "تُبْتَ مِمَّا صَنَعْتَ وَاسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ؟ " قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: "اللَّهُمَّ! تُبْ عَلَيْهِ وَارْضَ عَنْهُ"[١].

توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ أبو مِحْجَنٍ الثقفيُّ لايزالُ يُجْلَدُ فِي الْخَمْرِ فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِمْ سَجَنُوهُ وَأَوْثَقُوهُ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْقَادِسِيَّةِ فَكَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَصَابُوا فِي الْمُسْلِمِينَ.

فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَةِ سَعْدٍ: إِنَّ أَبَا مِحْجَنٍ يَقُولُ لَكِ: إِنْ خَلَّيْتِ سَبِيلَهُ وَحَمَلْتِهُ عَلَى هَذَا الْفَرَسِ وَدَفَعْتِ إِلَيْهِ سِلاحًا لَيَكُونَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْجِعُ إِلَيْكَ إِلا أَنْ يُقْتَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

كَفَى حَزَنًا أَنْ تَلْتَقِي الْخَيْلُ بِالْقَنَا ... وَأُتْرَكُ مشدودا علي وثاقيا

إذا قمت عَنَّانِي الْحَدِيدُ وَغُلِّقَتْ ... مَصَارِيعُ مِنْ دُونِي تُصِمُّ الْمُنَادِيَا

فَحَلَّتْ عَنْهُ قُيُودَهُ وَحُمِلَ عَلَى فَرَسٍ كَانَ فِي الدَّارِ وَأُعْطِيَ سِلاحًا.

---

[١] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، وهو خبر ضعيف، غريب، تفرد به الحراج وعنه ابنه وكيع.

ثُمَّ خَرَجَ يَرْكُضُ حَتَّى لَحِقَ بِالْقَوْمِ فَجَعَلَ لا يَزَالُ يَحْمِلُ عَلَى رَجُلٍ فَيَقْتُلُهُ وَيَدُقُّ صُلْبَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدٌ فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ وَيَقُولُ: مَنْ ذَاكَ الْفَارِسُ؟

فَلَمْ يَلْبَثُوا إِلا يَسِيرًا حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ وَرَجَعَ أَبُو مِحْجَنٍ وَرَدَّ السِّلاحَ وَجَعَلَ رِجْلَيْهِ فِي الْقُيُودِ كَمَا كَانَ. فَجَاءَ سَعْدٌ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ؟ فَجَعَلَ يُخْبِرُهَا وَيَقُولُ: لَقِينَا وَلَقِينَا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ لَوْلا أَنِّي تَرَكْتُ أَبَا مِحْجَنٍ فِي الْقُيُودِ لَقُلْتُ: إِنَّهَا بَعْضُ شَمَائِلِ أَبِي مِحْجَنٍ.

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لأَبُو مِحْجَنٍ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا وَكَذَا فَقَصَّتْ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ.

فَدَعَا بِهِ فَحَلَّ قُيُودَهُ وَقَالَ: لا نَجْلِدُكَ عَلَى الْخَمْرِ أَبَدًا، قَالَ أَبُو مِحْجَنٍ: وَأَنَا وَاللَّهِ لا أَشْرَبُهَا أَبَدًا؛ كُنْتَ آنَفُ أَنْ أَدَعَهَا مِنْ أَجْلِ جَلْدِكُمْ.

فَلَمْ يَشْرَبْهَا بَعْدَ ذَلِكَ.

توبة إبراهيم بن أدهم

قالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ خادمُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: قُلْتِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ حَتَّى صِرْتَ إِلَى مَا صِرْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: غَيْرَ ذَا أَوْلَى بِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ كَمَا تَقُولُ رَحِمَكَ اللَّهُ، وَلَكِنْ أَخْبِرَنِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهَا يَوْمًا، فَسَأَلْتُهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: وَيْحَكَ اشْتَغِلْ بِاللَّهِ، فَسَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: كَانَ أَبِي مِنْ أَهْلِ بَلْخ، وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ، وَكَانَ مِنَ الْمَيَاسِيرِ،

وَحَبَّبَ إِلَيْنَا الصَّيْدَ فَخَرَجْتُ رَاكِبًا فَرَسِي وَكَلْبَتِي مَعِي، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ ثَارَ أَرْنَبٌ أَوْ ثَعْلَبٌ، فَحَرَّكْتُ فَرَسِي فَسَمِعْتُ نَدَاءً مِنْ وَرَائِي: لَيْسَ لِذَا خُلِقْتَ وَلَا بِذَا أُمِرْتَ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَلَمْ أَرَ أَحَدًا فَقُلْتُ: لَعَنَ اللَّهُ إِبْلِيسَ.

ثُمَّ حَرَّكْتُ فَرَسِي فَأَسْمَعُ نِدَاءً أَجْهَرَ مِنْ ذَلِكَ: يَا إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ لِذَا خُلِقْتَ وَلَا بِذَا أُمِرْتَ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَلَا أَرَى أَحَدًا، فَقُلْتُ: لَعَنَ اللَّهُ إِبْلِيسَ، ثُمَّ حَرَّكْتُ فَرَسِي فَأَسْمَعُ نِدَاءً مِنْ قُرْبُوسِ سَرْجِي: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا لِذَا خُلِقْتَ وَلَا بِذَا أُمِرْتَ، فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: أَنْبَهْتَ أَنْبَهْتَ، جَاءَنِي نَذِيرٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاللَّهِ لَا عَصَيْتُ اللَّهَ بَعْدَ يَوْمِي إِذَا مَا عَصَمَنِي رَبِّي، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَخَلَيْتُ عَنْ فَرَسِي، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رُعَاةٍ لِأَبِي فَأَخَذْتُ مِنْ رَاعٍ جُبَّةً وَكِسَاءً وَأَلْقَيْتُ ثِيَابِي إِلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى الْعِرَاقِ؛ أَرْضٌ تَرْفَعُنِي وَأَرْضٌ تَضَعُنِي حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْعِرَاقِ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا فَلَمْ يَصْفُ لِي مِنْهَا مِنَ الْحَلَالِ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايِخِ عَنِ الْحَلَالِ فَقَالَ: إِذَا أَرَدْتَ الْحَلَالَ فَعَلَيْكَ بِبِلَادِ الشَّامِ فَصِرْتُ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا الْمَنْصُورَةُ، وَهِيَ الْمِصِّيصَةَ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا فَلَمْ يَصْفُ لِي شَيْئًا مِنَ الْحَلَالِ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايِخِ فَقَالُوا: إِنْ أَرَدْتَ الْحَلَالَ الصَّافِي فَعَلَيْكَ بِطُرْسُوسَ فَإِنَّ فِيهَا الْمُبَاحَاتِ وَالْعَمَلَ الْكَثِيرَ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى طُرْسُوسَ فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا، أَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ وَأَحْصُدُ الْحَصَادَ، فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ جَاءَنِي رَجُلٌ

فَاكْتَرَانِي أَنْطُرُ لَهُ بُسْتَانَهُ[١]، فَكُنْتُ فِي الْبُسْتَانِ أَيَّامًا كَثِيرَةً، فَإِذَا أَنَا بِخَادِمٍ قَدْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فَقَعَدَ فِي مَجْلِسِهِ ثُمَّ صَاحَ: يَا نَاطُورُ! فَقُلْتُ: هأَنَذَا، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنَا بِأَكْبَرِ رُمَّانٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَأَطْيَبِهِ، فَذَهَبْتُ فَأَتَيْتُهُ بِأَكْبَرِ رُمَّانٍ فَأَخَذَ رُمَّانَةً فَكَسَرَهَا فَوَجَدَهَا حَامِضَةً فَقَالَ لِي: يَا نَاطُورُ أَنْتَ فِي بُسْتَانِنَا مُنْذُ كَذَا وَكَذَا وَتَأْكُلُ مِنْ رُمَّانِنَا لَا تَعْرِفُ الْحُلْوَ مِنَ الْحَامِضِ! قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَكَلْتُ مِنْ فَاكِهَتِكَ شَيْئًا وَمَا أَعْرِفُ الْحُلْوَ مِنَ الْحَامِضِ، فَأَشَارَ الْخَادِمُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَلَا تَسْمَعُونَ كَلَامَ هَذَا؟ ثُمَّ قَالَ لِي: أَتُرَاكَ لَوْ أَنَّكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ ما زَادَ عَلَى هَذَا فَانْصَرِفْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ذُكِرَ صِفَتِي فِي الْمَسْجِدِ فَعَرَفَهَا بَعْضُ النَّاسِ، فَجَاءَ الْخَادِمُ وَمَعَهُ جمعٌ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ أَقْبَلَ مَعَ أَصْحَابِهِ اخْتَفَيْتُ خَلْفَ الشَّجَرِ وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ فَأَخْتَلِطُ مَعَهُمْ وَهُمْ دَاخِلُونَ وَأَنَا هَارِبٌ، فَهَذَا كَانَ أَوَائِلَ أَمْرِي وَخُرُوجِي مِنْ طُرْسُوسَ إِلَى بِلَادِ الرِّمَالِ.

توبة مالِك بن دينار

وروي عن مالكِ بنِ دينارٍ أنه سُئل عن سببِ توبتِه فقال: كُنْتُ شُرَطيًّا مُنهمِكًا على شُربِ الخمرِ، فاشتريتُ جاريةً نفيسةً، فوقَعَتْ في قلبي أحسنَ مَوْقع، ووَلَدَتْ لي بنتًا، فشُغِفْتُ بها، فلمَّا دَبَّتْ على الأرضِ ازْدَدْتُ لها حُبًّا،

[١] أحرسه له.

فكنتُ إذا وضعتُ الْمُسْكِرَ بين يَدَيّ؛ جاذَبَتْني عليه، وهَرَقَتْه على ثوبي، فلما تَمَّتْ لها سنتان ماتَتْ، فأَكْمَدَني حُزْنُها.

فلما كانت ليلةُ النِّصفِ من شَعبانَ – وكانت ليلةَ الجمعة؛ بِتُّ ثَمِلًا من الخمْر، ولم أُصَلِّ العِشاءَ الآخِرة – نمتُ، فرأيتُ في المنامِ كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ وقد نُفِخ في الصُّور، وبُعثرَ ما في القبور، وحُشِر الخلائقُ وأنا معهم، فسمعتُ حِسًّا من ورائي، فالتفتُّ؛ فإذا بتِنِّينٍ فاتحٍ فاهُ، أزرقَ أسودَ؛ كأعظمِ ما يكون، وهو مسرعٌ نحوي، فهربتُ منه، وإذا بشيخٍ نقيِّ الثوبِ طيِّبِ الرائحة، فسلَّمتُ عليه، فردَّ، فقلتُ: أجِرْني من هذا التِّنِّين أجارَك الله. فبكى وقال: أنا ضعيفٌ، وهذا أقوى مني، ولا أقدرُ عليه، ولكن أسْرِعْ فلعلَّ اللهَ أن يُتيحَ لك ما يُنجيك منه.

فولَّيتُ هاربًا على وجْهي، وصَعِدْتُ على شَرَفٍ من شُرَفِ القيامة، فأشرَفْتُ على طبقاتِ النِّيران، فنظرتُ إلى هَوْلِها، فكِدْتُ أن أهويَ فيها من خوفي من التِّنِّين، فصاح بي صائحٌ: ارْجِعْ، فلستَ من أهلِها، فأطمأْنَنْتُ إلى قولِه، ورجعَ التِّنِّينُ في طلبي، فأتيتُ الشيخَ فقلتُ له: سألتُك بالله إلا أجَرْتَني من هذا التِّنِّين. فقال: أنا ضعيفٌ، ولكنْ سِرْ إلى هذا الجبل، فإنَّ فيه ودائعَ المسلمين، فإنْ كانت لك فيه وديعةٌ فستَنصُرُك.

فنظرتُ فإذا جبلٌ مستديرٌ من فِضَّة، وفيه كُوًى مُخَرَّمة وستورٌ معلَّقة، على كل خوخةٍ سِترٌ، وتحتَه مصراعان مُرَصَّعانِ باليواقيت، وهما من الذهبِ الأحمرِ

والفضةِ البيضاءِ، والتِّنِّينُ من ورائي، فصاح بعضُ الملائكة: ارفعوا السُّتور، فلعلَّ أن يكونَ لهذا البائسِ فيكم وديعةٌ تُجيرُه من عدوِّه، فرُفِعَتْ تلك السُّتور، وأشرفَ من تلك الكُوَى أطفالٌ كأنَّ وجوهَهم الأقمار، وقَرُبَ التِّنِّينُ منِّي، وإذا بابْنتي التي ماتَتْ فيهم، فلمَّا رأَتْني صاحَتْ: أبي واللهِ. ثم وثَبَتْ في كَفَّةٍ من نور، وأشارَتْ إلى التِّنِّين، فولَّى هاربًا، ثم قعَدَتْ في حِجْري، ومدَّت يدَها إلى لِحْيتي، وقالت: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ} فبكَيتُ وقلتُ: بلى. ثم قلتُ: ما هذا التِّنِّين؟ فقالت: عملُك السَّيِّءُ؛ قَوَّيتَهُ، فأرادَ أن يُغرقَك في نارِ جهنَّم. قلتُ: فذاك الشيخُ؟ قالت: عملُك الصالح أضْعَفْتَه. قلتُ: فما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفالُ المسلمين قد أُسْكِنَّا في هذا الجبلِ إلى يومِ القيامة ننتظرُ قُدومَكم علينا، فنشفعَ لكم.

فانتبهتُ فَزِعًا، وأصبحتُ تائبًا إلى الله عزَّ وجلّ.

توبة الفضيل بن عياض

قَالَ رَجُلٌ مِنْ جِيْرَانِ الفُضَيْلِ:كَانَ الفُضَيْلُ يَقْطَعُ الطَّرِيْق وَحْدَهُ، فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ القَافِلَةُ، فَقَالَ بَعْضُهُم: اعْدِلُوا بِنَا إِلَى هَذِهِ القَرْيَةِ، فَإِنَّ الفُضَيْلَ يَقْطَعُ الطَّرِيْقَ. فَسَمِعَ ذَلِكَ، فَأُرْعِدَ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ! جُوْزُوا، وَاللهِ لأَجْتَهِدَنَّ أَنْ لاَ أَعْصِيَ اللهَ.

توبة بشر بن الحارث الحافي

عنْ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَسُئِلَ: مَا كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ لِأَنَّ اسْمَكَ بَيْنَ النَّاسِ كَأَنَّهُ اسْمُ نَبِيٍّ؟ قَالَ: "هَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَمَا أَقُولُ لَكُمْ؟ كُنْتُ رَجُلًا عَيَّارًا صَاحِبَ عَصَبَةٍ، فَجُزْتُ يَوْمًا فَإِذَا أَنَا بِقِرْطَاسٍ فِي الطَّرِيقِ فَرَفَعْتُهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَمَسَحْتُهُ وَجَعَلْتُهُ فِي جَيْبِي، وَكَانَ عِنْدِي دِرْهَمَانِ مَا كُنْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا فَذَهَبْتُ إِلَى الْعَطَّارِينَ فَاشْتَرَيْتُ بِهِمَا غَالِيَةً[1] وَمَسَحْتُهُ فِي الْقِرْطَاسِ فَنِمْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لِي: يَا بِشْرُ بْنَ الْحَارِثِ رَفَعْتَ اسْمَنَا عَنِ الطَّرِيقِ، وَطَيَّبْتَهُ، لَأُطَيِّبَنَّ اسْمَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ".

توبة ذي النون المصري

قَالَ يُوسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ: لَمَّا اسْتَأْنَسْتُ بِذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ قُلْتُ: أَيُّهَا الشَّيْخُ! مَا كَانَ بَدْءُ شَأْنِكَ؟

قَالَ: كُنْتُ شَابًّا صَاحِبَ لَهْوٍ وَلَعِبٍ ثُمَّ تُبْتُ وَتَرَكْتُ ذَلِكَ وَخَرَجْتُ حَاجًّا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَمَعِي بُضَيْعَةٌ، فَرَكِبْتُ فِي الْمَرْكَبِ مَعَ تُجَّارٍ مِنْ مِصْرَ وَرَكِبَ مَعَنَا شَابٌّ صَبِيحٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ يُشْرِقُ، فَلَمَّا تَوَسَّطَنَا فَقَدَ صَاحِبُ الْمَرْكَبِ كِيسًا فِيهِ مَالٌ فَأَمَرَ بِحَبْسِ الْمَرْكَبِ فَفَتَّشَ مَنْ فِيهِ وَأَتْعَبَهُمْ، فَلَمَّا

---

[1] نوع من أنواع الطِّيب.

وَصَلُوا إِلَى الشَّابِّ لِيُفَتِّشُوهُ وَثَبَ وَثْبَةً مِنَ الْمَرْكَبِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَمْوَاجِ الْبَحْرِ وَقَامَ لَهُ الْمَوْجُ عَلَى مِثَالِ سَرِيرٍ وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَرْكَبِ وَقَالَ: يَا مَوْلايَ! إِنَّ هَؤُلاءِ اتَّهَمُونِي وَإِنِّي أُقْسِمُ يَا حَبِيبَ قَلْبِي أَنْ تَأْمُرَ كُلَّ دَابَّةٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ أَنْ تُخْرِجَ رَأْسَهَا وَفِي أَفْوَاهِهَا جَوْهَرٌ.

قَالَ ذُو النُّونِ: فَمَا تَمَّ كَلامُهُ حَتَّى رَأَيْنَا دَوَابَّ الْبَحْرِ أَمَامَ الْمَرْكَبِ قَدْ أخرجتْ رؤوسَها وَفِي فَمِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا جَوْهَرَةٌ تَتَلأْلأُ وَتَلْمَعُ.

ثُمَّ وَثَبَ الشَّابُّ مِنَ الْمَوْجِ إِلَى الْبَحْرِ وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ عَلَى مَتْنِ الْمَاءِ وَيَقُولُ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} حَتَّى غَابَ عَنْ بَصَرِي.

توبة امرأة عن السحر

عنْ عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها قالتْ: قَدِمَتِ امرأةٌ مِن أهْلِ دُومةِ الجَنْدلِ علَيَّ، جاءتْ تَبتَغي رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بعْدَ مَوتِه حَدَاثةَ ذلكَ[١]، تَسْألُه عنْ شَيْءٍ دخَلَتْ فيهِ مِن أمرِ السَّحَرةِ لم تَعْمَلْ بهِ.

قالتْ عائشةُ لعُروةَ[٢]: يا ابنَ أُختِي، فرَأيتُها تَبكِي حينَ لمْ تَجِدْ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فيَشْفِيَها، حتَّى إنِّي لَأرْحَمُها، وتقولُ: إنِّي لَأخافُ أنْ أكونَ قدْ هلَكْتُ؛ كانَ لِي زوجٌ فغابَ عنِّي، فدخَلَتْ علَيَّ عجوزٌ، فشَكَوْتُ إليْها، فقالتْ: إنْ فعَلْتِ ما آمُرُكِ، فأجْعَلَه يَأتيكِ، فلمَّا كانَ اللَّيْلُ جاءتْنِي بكَلْبَيْنِ أسوَدَيْنِ، فرَكِبْتُ أحدَهما، ورَكِبَتِ الآخَرَ، فلمْ يكُنْ مُكْثِي حتَّى وقَفْنَا ببابِلَ، فإذا أنا برَجُلَيْنِ مُعَلَّقَيْنِ بأرجُلِهِما[٣]، فقالا: ما جاءَ بكِ؟ فقلْتُ: أتعلَّمُ السِّحْرَ، فقالَا: إنَّما نحنُ فِتنةٌ، فلا تَكْفُري وارْجِعي، فأبَيْتُ وقلْتُ: لا، فقالَا: فاذْهَبِي إلى ذلِكَ التَّنُّورِ فبُولِي فيهِ، فذَهَبْتُ وفَزِعْتُ، فلَمْ أفعَلْ، فرَجَعْتُ إليْهما، فقالَا

---

[١] يعني قريباً من موته.

[٢] عروة بن الزبير بن العوام وأمه أسماء أخت عائشة، وهو راوي هذا الحديث عن خالته أم المؤمنين رضي الله عنها.

[٣] يعني هاروت وماروت المذكورين في قوله تعالى (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ).

لي: فَعَلْتِ؟ قُلتُ: نعمْ، قالَا: هلْ رَأيتِ شيئًا؟ قُلْتُ: لم أرَ شيئًا، فقالَا: لم تَفْعَلي، ارْجِعي إلى بلادِكِ ولا تَكْفُري، فأبَيْتُ، فقالَا: اذهَبِي إلى ذلكَ التَّنُّورِ فبُولِي فيهِ، فذَهبْتُ فاقشَعَرَّ جِلْدي وخِفْتُ، ثمَّ رَجَعْتُ إليهما، فقُلتُ: قدْ فعَلْتُ، فقالَا: ما رأيْتِ؟ فقلْتُ: لم أرَ شيئًا، فقالَا: كَذَبْتِ، لم تَفعَلي، ارْجِعي إلى بِلادِكِ ولا تَكْفُري؛ فإنَّكِ على رأسِ أمْرِكِ، فأبَيْتُ، فقالا: اذهَبِي إلى ذلكَ التَّنُّورِ، فبُولِي فيهِ، فذهَبْتُ فبُلْتُ فيهِ، فرَأيتُ فارِسًا مُتقَنِّعًا بحديدٍ خرَجَ منِّي حتَّى ذهَبَ في السَّماءِ فغابَ عنِّي حتَّى ما أراه، فأتيْتُهُما، فقُلْتُ: قدْ فعَلْتُ، فقالَا: فما رأيتِ؟ قلْتُ: رَأيتُ فارِسًا مُتقَنِّعًا بحديدٍ خَرَجَ منِّي، فذَهَبَ في السَّماءِ فغابَ عنِّي حتَّى ما أرى شيئًا، قالا: صَدَقْتِ، ذلكِ إيمانُكَ خَرَجَ منكِ، اذْهَبِي.

فقُلْتُ للمرأةِ[1]: واللهِ ما أعلَمُ شيئًا وما قالَا لي شَيْئًا، فقالَت: بَلَى إنْ تُرِيدِينَ شيئًا إلَّا كانَ، خُذِي هذا القَمْحَ فابْذُرِي، فبَذَرْتُ، فقُلْتُ: اطْلُعِي، فطَلَعَتْ، وقُلْتُ: احْقِلي، فحَقَلَتْ، ثمَّ قُلْتُ: أفْرِخِي، فأفْرَخَتْ، ثُمَّ قُلْتُ: ايبَسِي، فيَبِسَتْ، ثمَّ قلْتُ: اطْحَنِي، فطَحَنَتْ، ثمَّ قُلتُ: اخبِزِي، فخَبَزَتْ، فلَمَّا رَأيتُ

[1] المرأة التي ذهبت بها إلى بابل.

أنِّي لا أريدُ شيئًا إلَّا كانَ، سُقِطَ في يَدِي ونَدِمْتُ، واللهِ يا أُمَّ المؤمِنينَ، ما فعَلْتُ شيئًا قَطُّ، ولا أفْعَلُه أبدًا.

فسَألَتْ أصحابَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حَداثةَ وَفاةِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهُم يومَئِذٍ مُتوافِرونَ، فمَا دَرَوْا ما يَقُولونَ لها، وكلُّهم هابَ وخافَ أنْ يُفْتِيَها بما لا يَعْلَمُ، إلَّا أنَّهم قالوا: لوْ كان أبَواكِ حَيّينِ أو أحدُهُما لَكانَا يَكْفِيانِكِ[١].

توبة شاب عن اللهو واللعب

قَالَ ثَابِتٌ الْبُناني: كَانَ صِلَةُ بْنُ أَشْيَمَ يَخْرُجُ إِلَى مَسْجِدٍ لَهُ فِي الْجَبَّانِ فَيَمُرُّ عَلَى شَبَابٍ عَلَى لَهْوٍ لَهُمْ فَيَقُولُ: "أَيْ قَوْم أَخْبِرُونِي عَنْ قَوْمٍ أَرَادُوا سَفَرًا، فَجَازُوا بِالنَّهَارِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَامُوا اللَّيْلَ مَتَى يَقْطَعُونَ سَفَرَهُمْ؟ فَانْتَبَهُ مِنْهُمْ شَابٌّ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ إِنَّمَا يَعْنِيكُمْ بِقَوْلِهِ: إِذَا كُنْتُمْ بِالنَّهَارِ فِي لَهْوِكُمْ

[١] رواه الحاكم عن عروة في المستدرك على الصحيحين، وهو صحيح الإسناد.

وَبِاللَّيْلِ تَنَامُونَ مَتَى تُرِيدُونَ أَنْ تَقْطَعُوا سَفَرَكُمْ؟ وَلَزِمَ الشَّابُّ صِلَةَ فَتَعَبَّدَ مَعَهُ حَتَّى مَاتَ[١].

توبة شاب عن الانهماك في الدنيا

قال جعفر بن سليمان: مررتُ أنا ومالكُ بنُ دينار بالبصرة، وإذا بشابٍّ من أحسنِ الشَّباب جالسٍ يَعْمُرُ قصرًا ويقول: افعلوا كذا وكذا. فتقدَّم إليه مالكٌ، فسلَّم عليه وقال: كم في عزمِك أن تنفقَ على هذا القصر؟ فقال: مئة ألف درهم. فقال: ألا تُعطيني هذا المال؛ أتصدَّقُ به، وأضمنُ لك على الله قصرًا في الجنّة بولْدانِه وقِبابِه وحُورِه وقُصورِه؟ فقال: أجِّلْني الليلة. فقال: نعم.

وبات مالكٌ يدعو ليلتَه ويبكي، فلما كان عند السَّحَر إذا بالشَّابِّ قد أقبلَ ومعه البَدْر[٢]، فدَعَا مالكٌ بدواةٍ وقرطاسٍ، وكتب: هذا ما ضَمِنَ مالكُ بنُ دينار لفلانِ ابنِ فلان على الله قصرًا في الجنَّة، فيه كذا وكذا. ووصَفَه، وأخَذَ الشابُّ الكتابَ، ودفعَ المالَ إلى مالكٍ، ففرَّقَه في الفقراءِ والمساكينِ وأربابِ البيوت، ومضى على ذلك أربعون يومًا.

---

[١] انظر: الزهد الكبير للبيهقي.

[٢] يعني الكيس الَّذي فيه المال. وفي "القاموس": البَدْر والبَدْرَة: كيس فيه ألف – أو عشرة آلاف – درهم أو سبعة آلاف دينار.

فبينا مالكٌ في محرابِه قد صلَّى الفجْر، وإذا بالكتابِ مُلْقًى بين يديه، وفي ظهرِه مكتوبٌ بالنُّور: هذه براءةٌ من العزيزِ الغفَّارِ لمالكِ بنِ دينارٍ أنَّا وَفَّينا للشابِّ بالقصْر الَّذي ضَمِنْتَه له، وزِدْناه سبعين قصرًا.

ففزِع مالكٌ، وأخَذَ الكتابَ، وقصدَ منزلَ الشّابّ، وإذا بالبابِ مسوَّدٌ والصُّراخُ في الدار والنعيُّ على البابِ فقال: ما هذا؟ قالوا: مات الشّابُّ البارحةَ. قال: مَنْ غَسَّلَه؟ قالوا: فلانٌ. قال: عليَّ به. فجاء فقال: أنتَ غسَّلْتَه؟ قال: نعم. قال: فما الَّذي أوصاكَ به قبل موتِه؟ قال: دفعَ إليَّ كتابًا وقال: اجْعَلْه بين يديَّ وكَفَني. فجعلتُه. فأخرجَ مالكٌ الكتابَ وقال: أهذا هو؟ قال: إي والله. وصاحَ الغاسلُ وبكى، وارتفع الصياحُ في الدارِ والمحلَّة.

فقال شابٌّ من جيرانِه: يا مالكُ، خُذْ منِّي مئتي ألفِ درهم، واضْمَنْ لي على الله مثلَ هذا. فقال: هيهاتَ هيهات! كان ما كان[١].

توبة دينار العيّار عن المعاصي على يد والدته

يُحْكَى أَنَّ شَابًّا كَانَ اسْمُهُ دِينَار العيّار، وَكَان لَهُ وَالِدَةٌ صَالحَةٌ تَعِظُهُ وَهُوَ لاَ يَتَّعِظُ، فَمَرَّ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ بمَقْبرَة، فَأَخَذ مِنهَا عَظْمًا فَتَفَتَّتَ فِي يَدِه؛ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَال: وَيحَكَ يَا دِينَار، كَأَنِّيَ بِكَ وَقَدْ صَارَ عَظْمُكَ هَكَذَا رُفَاتًا؛

[١] انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي.

فَنَدِمَ عَلَى تَفْرِيطِهِ وَعَزَمَ عَلَى التَّوْبَة، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلى السَّمَاءِ وَقَال: إِلهِي وَسَيِّدِي: أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ أَمْرِى فَاقْلِبنِي حَيْثُ شِئْتَ، ثمَّ أَقْبَلَ نحْوَ أُمِّهِ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ مُنْكَسِرَ القَلبِ فَقَال: يَا أُمَّاه: مَاذَا يُصْنَعُ بِالعَبْدِ الآبِقِ إِذَا أَخَذَهُ سَيِّدُه؟ قَالَتْ: يُخْشِنُ مَلْبَسهُ وَمَطْعَمه، وَيَغُلُّ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْه؛ فَقَال: أُرِيدُ جُبَّةً مِنْ صُوف وَأَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ وَغُلَّيْنِ[1]، وَافْعَلِي بي يَا أُمَّاهُ كَمَا يُفْعَلُ بِالعَبْدِ الآبِق؛ لَعَلَّ مَوْلاَيَ إِذَا رَأَى ذُلي يَرْحَمُني، فَفَعَلَتْ بِهِ مَا أَرَاد.

فَكَانَ إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَخَذَ فِي البُكَاءِ وَالعَوِيلِ وَيقُولُ لِنَفْسِه: وَيْحَكَ يَا دِينَار: أَلَكَ قوَّةٌ عَلَى النَّار؟ كَيْفَ تَعَرَّضْتَ لِغَضَبِ الجَبَّار؟

وَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الصُّبْح؛ فَقَالَتْ لَه أُمُّه: ارْفُقْ بِنَفْسِكَ يَا وَلَدِي! فَقَال: دَعِينِي يَا أُمَّاهُ أَتْعَبُ قَلِيلاً؛ لَعَلِّي أَسْتَرِيحُ طَوِيلاً، يَا أُمَّاهُ إِنَّ لِي غَدَاً مَوْقِفًا طَوِيلًا، وَلاَ أَدْرِي أَيُؤْمَرُ بِي إِلى ظِلٍّ ظَلِيل، أَمْ إِلى ذُلٍّ طَوِيل.

قَالَتْ: يَا بُنَيَّ خُذْ لِنَفْسِكَ رَاحَة.

قَال: لَسْتُ لِلرَّاحَةِ أَطْلُب، كَأَنَّكِ يَا أُمَّاهُ غَدَاً بِالخَلاَئِقِ يُسَاقُونَ إِلى الجَنَّةِ وَأُسَاقُ إِلى النَّار؛ فَتَرَكَتْهُ وَمَا هُوَ عَلَيْه، فَأَخَذَ فِي البُكَاءِ وَالعِبَادَةِ وَقِرَاءةِ القُرْآن، فَقَرَأَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِين عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}.

---

[1] مثنى غل، وهو القيد.

فَتَفَكَّرَ فِيهَا وَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّىَ غُشِيَ عَلَيْه؛ فَجَاءتْ أُمُّهُ فَنَادَتْهُ فَلَمْ يجِبْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: يَا حَبِيبِي وَقُرَّةَ عَيْنِي أَيْنَ الْمُلتَقَى؟ فَقَالَ بِصَوْتٍ ضَعِيف: يَا أُمَّاه إِنْ لَمْ تجِدِيني فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ فَاسْأَلِي عَنِيّ مالِكَاً خَازِنَ النَّار، ثُمَّ شَهِقَ شَهْقَةً فَخَرَجَتْ نَفْسُه، فَغَسَّلَتْهُ أُمُّهُ وَجَهَّزَتْهُ وَخَرَجَتْ تُنَادِي أَيُّهَا النَّاس: هَلُمُّواْ إِلى الصَّلاَةِ عَلَى قَتِيلِ النَّار.

فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِب، فَلَمْ يُرَ أَكثَرَ جَمْعَاً وَلاَ أَغْزَرَ دَمعَاً مِنْ ذَلِكَ اليَوْم، فَلَمَّا دَفَنُوهُ نَامَ بَعْضُ أَصْدقَائِهِ تِلكَ اللَّيْلَة، فَرَآهُ يَتَبَخْتَرُ فِي الجَنَّةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ خضْرَاءُ وَهُوَ يَقْرَأُ نَفْسَ الآيَة: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِين؛ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وَيَقُول: وَعِزَّتِهِ وَجَلاَلِهِ سَأَلَنِي وَرَحِمَنِي وَغَفَرَ لِي وَتجَاوَزَ عَنِيّ، أَلاَ أَخْبِرُواْ عَنِيّ وَالِدَتِي بِذَلِك"[١].

توبة شاب وامرأته على يد سَرِيّ السَّقْطِي

وعن سَرِيٍّ السَّقْطي[٢] قال: كنتُ يومًا أتكلمُ بجامعِ المدينةِ، فوقف عليَّ شابٌ حسنُ الشباب فاخرُ الثياب ومعه أصحابُه فسمعني أقول في وعظي: عجبًا لضعيفٍ يعصي قويًا؛ فتغير لونُه وانصرف.

---

[١] انظر: التبصرة لابن الجوزي.

[٢] السَرِيُّ بنُ الْمُغَلَّسِ السَّقَطِي: إمام وشيخ وأحد العلماء المشهورين بالورع والزهد في القرن الثالث الهجري. وهو تلميذ معروف الكرخي، وخال الجنيد وأستاذه.

فلما كان من الغد جلستُ في مجلسي وإذا بالفتى قد أقبل فسلَّم وصلَّى ركعتين وقال: يا سَري! سمعتُك بالأمس تقول: عجبًا لضعيفٍ يعصي قويًا! فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من الله ولا أضعفَ من العبد وهو يعصيه؛ فنهض فخرج.

ثم أقبل من الغدِ وعليه ثوبانِ أبيضانِ وليس معه أحدٌ فقال: يا سَري كيف الطريق إلى الله؟ فقلتُ: إن أردتَ العبادةَ فعليك بصيامِ النهار وقيامِ الليل، وإن أردتَ الله فاتركْ كلَّ شيء سواه تصل إليه وليس إلا المساجد والخراب والمقابر. فقام وهو يقول: والله لا سلكتُ إلا أصعبَ الطرق، وولَّى خارجًا.

فلما كان بعد أيامٍ أقبل إليَّ غلمانٌ كثيرٌ فقالوا: ما فعل أحمدُ بنُ يزيدَ الكاتب؟ فقلت: لا أعرفه إلا أن رجلًا جاءني من صفتِه كذا وكذا فجرى لي معه كذا وكذا ولا أعلم حالَه، فقالوا: نقسِمُ عليك بالله متى عرفتَ حاله فعرِّفنا، ودَلُّوني على داره.

فبقيتُ سنةً لا أعرف له خبرًا، فبينا أنا ذاتَ ليلة بعد عشاءِ الآخرةِ جالسًا في بيتي إذا بطارقٍ يطرق البابَ فأذنتُ له بالدخولِ فإذا بالفتى عليه قطعةٌ من كساءٍ في وسطه وأخرى على عاتقِه ومعه زنبيلٌ فيه نوى، فقبَّل بين عينيَّ وقال لي: يا سَري! أعتقكَ اللهُ من النار كما أعتقتني من رِقِّ الدنيا.

فأومأتُ إلى صاحبي أن امضِ إلى أهلِه فأخبرْهم؛ فمضى وإذا بزوجتِه قد جاءت ومعها ولدُه وغلمانُه، فدخلتْ وألقتْ ولدَه في حِجرِه وعليه حُلِيّ وحُلل وقالت له: يا سيدي! أرملْتَني وأنتَ حيٌّ وأيتمتَ ولدَك وأنتَ حي.

قال سَري: فنظر إليَّ وقال: يا سَري! ما هذا وفاءٌ. ثم أقبل عليها فقال: والله إنك لثمرةُ فؤادي وحبيبةُ قلبي وإنَّ هذا ولدي لأعزُّ الخلق عليَّ، غيرَ أن هذا سَري أخبرني أن من أراد اللهَ قطع كلَّ ما سواه.

ثم نزع ما على الصبي فقال: ضعي هذا في الأكبادِ الجائعة والأجسادِ العارية. وخرق قطعةً من كسائه فلف فيها الصبيَّ فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحال! وانتزعتْه منه فحين رآها قد اشتغلتْ به نهض وقال: ضيَّعْتم عليَّ ليلتي، بيني وبينَكم الله، وولَّى خارجًا. وضجَّتِ الدارُ بالبكاء فقالت: إن عدتَ سمعتَ له خبرًا فأعلمْني! فقلتُ: نعم.

فلما كان بعد أيام أتتْ عجوزٌ فقالت: يا سَري! بالشونيزية[1] غلامٌ يسألكَ الحضورَ؛ فمضيتُ فإذا به مطروحٌ في تربة تحت رأسِه لبنةٌ فسلمتُ عليه ففتح عينيه وقال: يا سَري! تَرى تُغفر تلك الجناياتُ؟ فقلتُ: نعم! قال: يُغفر لمثلي؟ قلتُ نعم! قال: أنا غريق! قلتُ: هو مُنْجي الغرقى، فقال: عليَّ مظالم،

[1] مقبرة قديمة ببغداد.

فقلت في الخبر أنه يؤتى بالتائب يومَ القيامة معه خصومُه فيقال لهم: خَلُّوا عنه فإن الله تعالى يعوِّضُكم.

فقال: يا سَري! معي دراهم من لقْط النوى، إذا أنا متُّ فاشترِ لي ما أحتاج إليه وكفِّني ولا تُعلم أهلي لئلا يغيّروا كفني بحرام.

قال سَري: فجلستُ عنده قليلًا ففتح عينيه فقال: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} ثم مات.

فأخذتُ الدراهمَ وجئتُ فاشتريتُ ما يحتاج إليه وسرتُ نحوه فإذا الناسُ يُهرعون فقلت: ما الخبر؟ فقيل: مات وليٌّ من أولياءِ الله نريد أن نصلي عليه، فجئتُ فغسلتُه ودفنّاه.

فلما كان بعد مدة نفذ أهلُه يستعلِمون خبرَه فأخبرتُهم بموتِه فأقبلتِ امرأتُه باكيةً فأخبرتُها بحالِه فسألتْني أن أريَها قبرَه فقلتُ: أخاف أن تغيروا أكفانَه قالت: لا والله! فأريتُها القبرَ فبكتْ وأمرتْ بإحضارِ شاهدَينِ فأحضرتُهما وأعتقتْ جواريَها وأوقفتْ عقارَها وتصدقتْ بمالها ولزمتْ قبرَه حتى ماتت.

توبة امرأة بارعة الجمال أرادت أن تفتن الربيع بن خثيم

عن سعدان قال: أمر قومٌ امرأةً ذاتَ جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم[١] لعلها تفتنُه، وجعلوا لها إن فعلتْ ذلك ألفَ درهم؛ فلبست أحسنَ ما قدرتْ عليه من الثياب وتطيبتْ بأطيبِ ما قدرتْ عليه ثم تعرضتْ له حين خرج من مسجدِه؛ فنظر إليها فراعَه أمرُها فأقبلتْ عليه وهي سافرةٌ فقال لها الربيع: كيف بكِ لو قد نزلتِ الحُمّى بجسمِك فغيرتْ ما أرى من لونِك وبهجتِك؟ أم كيف بكِ لو قد نزل بك مَلَكُ الموتِ فقطع منكِ حبلَ الوَتِين؟ أم كيف بكِ لو سألك منكرٌ ونَكير؟ فصرختْ صرخة فسقطت مغشيًا عليها فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذعٌ محترق[٢].

---

[١] الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثوري التميمي الكوفي (١٠ ق هـ – ٦٥ هـ) تابعي من أهل الكوفة، وأحد رواة الحديث النبوي، ولد في الجاهلية وأدرك زمن النبي ﷺ ولم يره ولذلك فهو معدود من كبار التابعين قال أبو الحسن العجلي: «الربيع بن خثيم الثوري يُكَنى بأبي يزيد كوفي تابعي ثقة من خيار أصحاب عبد الله بن مسعود». وقال شمس الدين الذهبي: «كان الربيع بن خثيم من سادة التابعين وفضلائهم». وقال علقمة بن مرثد: «انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين وذكر منهم الربيع بن خثيم».

[٢] انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي.

توبة جار لأبي حنيفة

عَن بعض أَصْحَاب أبي حنيفَة من أهل الْكُوفَة قَالَ: كَانَ لأبي حنيفَةَ جَارٌ إسكافٌ[١]، وَكَانَ كثيرًا مَا يعْمل بِاللَّيْلِ وينشد هَذِه الأبيات ويردِّدُها:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيْهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

وَخَلُّونِي بِمُعْتَرَكِ الْمَنَايا ... وقَد شُرِعَتْ أَسِنَّتُها لِنَحْرِي

أَجَرَّرُ فِي الجَوَامِعِ كُلَّ يَوْمٍ ... فَيَا للَّهِ مظْلِمتِي وَصَبْرِي

كَأَنِّيّ لَمْ اكن فِيْهِمْ وَسِيْطًا ... ولم تَكُ نسْبَتِي مِنْ آلِ عَمْرِو[٢]

وَكَانَ أَبُو حنيفَة يقوم يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَيسمع صَوته يردد هَذِه الأبيات فَفَقدهُ لَيْلَة أَو لَيْلَتَيْنِ فَسَأَلَ عَنهُ فَقيل أَخذَه السُّلْطَانُ وحبسه، فَصَارَ أَبُو حنيفَة إِلَى الْوَالِي يشفع فِيهِ وَقَالَ لَهُ جاري وَله حقُّ الْجوَار قد أَخذه العَسَس، قَالَ فَمَا اسْمه؟ قَالَ لَا أعلمُ غير أَنه إسكافٌ، فَقَالَ الْوَالِي: أطلِقوا لأبي حنيفَة كل من أُخذ اللَّيْلَة، فَلَمَّا أَطْلقُوهُ جَاءَ الإسكافُ إِلَى أبي حنيفَة يشكرُه: فَقَالَ لَهُ أَبُو حنيفَة يَا فَتى هل أضعناك؟ فاستحى الفتى وحسنتْ توبتُه.

---

[١] يعمل في إصلاح الأحذية.

[٢] وهذه الأبيات للشاعر العرجي؛ عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان المتوفى في نحو سنة عشرين ومائة. شاعر مشهور وله ديوان شعر طبع ببغداد ١٩٥٥م.

توبة جار لأحمد بن حنبل

قال جعفَرٌ الصَّائغُ: كان في جيرانِ أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ حنبلٍ رجُلٌ ممَّن يمارِسُ المعاصيَ والقاذوراتِ، فجاء يومًا إلى مجلِسِ أحمدَ يُسَلِّمُ عليه، فكأنَّ أحمدَ لم يَرُدَّ عليه ردًّا تامًّا وانقبضَ منه، فقال له: يا أبا عبدِ اللهِ، لِمَ تنقَبِضُ منِّي؟ فإنِّي قد انتقَلْتُ عمَّا كنتَ تَعهَدُني برُؤيا رأيتُها. قال: وأيَّ شيءٍ رأيتُ؟ قال: رأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في النَّومِ كأنَّه على عُلوٍ من الأرضِ، وناسٌ كثيرٌ أسفَلَ جُلوسٌ، فيقومُ رجُلٌ رجُلٌ منهم إليه، فيقولُ: ادْعُ لي! فيدعو له، حتَّى لم يَبْقَ من القومِ غيري، فأردْتُ أن أقومَ فاستَحْيَيتُ من قبيحِ ما كنتُ عليه، فقال لي: يا فلانُ، لِمَ لا تقومُ إليَّ فتسألُني أدعو لك؟! قُلتُ: يا رسولَ اللهِ، يقطَعُني الحَياءُ؛ لقبيحِ ما أنا عليه! فقال: إنْ كان يقطَعُك الحَياءُ

فقُمْ فسَلْني أدْعُ لك؛ فإنَّك لا تَسُبُّ أحدًا من أصحابي. فقُمتُ، فدعا لي، فانتَبَهْتُ وقد بَغَّضَ اللهُ إليَّ ما كنتُ عليه.

قال جعفرٌ: فقال لنا أبو عبدِ اللهِ: يا جعفَرُ، يا فُلانُ، حَدِّثوا بهذا واحفَظوه؛ فإنَّه ينفَعُ[١].

ذكر خبر جماعة ممن أسلم

توبة أبي إسماعيل النصراني وإسلامه

عن عبد الله بن الفرج العابد قال: كان بالْمَوْصِل رجلٌ نصرانيٌّ يُكْنى أبا إسماعيل، فمر ذاتَ ليلة برجل وهو يتهجد على سطحه وهو يقرأ: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} فصرخ أبو إسماعيل صرخةً غُشي عليه فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح.

فلما أصبح أسلم، ثم أتى فتحًا الموصليَّ[٢] فاستأذنه في صحبتِه فكان يصحبُه ويخدمُه.

---

[١] انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي.

[٢] فتح الموصلي: زاهد زمانه فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي، أحد الأولياء، له قدم راسخ في التقوى, عن المعافى قال: لم أر أعقل منه. قيل: كان يوقد في أتون بعد ما كان يصيد السمك، فشغلته سمكة عن الجماعة، فتركه. وقد بعث إليه المعافى بألف، فردها، وأخذ منها درهمًا واحدًا مع فقر أهله. وقيل: كان لا ينام إلا قاعدًا وكان بكَّاء، خوافًا متهجدًا. قيل: أتاه متولي الموصل، فخرج

وبكى أبو إسماعيل حتى ذهبتْ إحدى عينيه وعشي من الأخرى، فقلتُ له يومًا حدثني ببعضِ أمرِ فَتْحٍ، فبكى ثم قال: أخبرك عنه! كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب بما هناك ليست له في الدنيا راحة.

قلت: علي ذاك.

قال: شهدتُ العيدَ معه ذاتَ يوم ورجع بعد ما تفرق الناسُ ورجعتُ معه فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة ثم بكى ثم قال: قد قرب الناس قربانهم فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب، ثم سقط مغشيًا عليه. فجئت بماء فمسحت به وجهه فما أفاق حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: قد علمت طول غمي وحزني وترددي في أزقة الدنيا فحتى متى تحبسني أيها المحبوبُ، ثم سقط مغشيًا عليه. فجئت بماء فمسحتُه على وجهه فأفاق فما عاش بعد ذلك إلا أيامًا حتى مات – رحمه الله[1].

ابنه، وقال: هو نائم. فصاح: ما أنا نائمًا، ما لي ولك؟ قال: هذه عشرة آلاف خذها، فأبى. توفي سنة سبعين ومائة.

[1] انظر: شعب الإيمان للبيهقي.

توبة شاب نصراني وإسلامه

قَالَ حَامِدٌ الأَسْوَدُ صَاحِبُ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصِ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا، لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ أَحَدًا وَلَمْ يَذْكُرْهُ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ رَكْوَتَهُ ويمشي، فبينا نَحْنُ مَعَهُ فِي مَسْجِدِهِ تَنَاوَلَ رَكْوَتَهُ وَمَشَى فَأَتْبَعْتُهُ، فَلَمْ يُكَلِّمْنِي حَتَّى وَافَيْنَا الْكُوفَةَ، فَأَقَامَ بِهَا يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ الْقَادِسِيَّةِ، فَلَمَّا وَافَاهَا، قَالَ لِي: يَا حَامِدُ! إِلَى أَيْنَ؟ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي! خَرَجْتُ بِخُرُوجِكَ. فَقَالَ: أَنَا أُرِيدِ مَكَّةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قُلْتُ: وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أُرِيدُ مَكَّةَ. فَمَشَيْنَا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ، إِذَا شَابٌّ قَدِ انْضَمَّ إِلَيْنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَمَشَى معي يومًا وليلةً لا يسجدُ لله عز وجل سَجْدَةً، فَعَرَّفْتُ إِبْرَاهِيمَ وَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا الْغُلامَ لا يُصَلِّي. فَجَلَسَ وَقَالَ لَهُ: يَا غُلامُ! مَا لَكَ لا تُصَلِّي وَالصَّلاةُ أَوْجَبُ عَلَيْكَ مِنَ الْحَجِّ؟ فَقَالَ: يَا شَيْخُ! مَا عَلَيَّ مِنْ صَلاةٍ. قَالَ: أَلَسْتَ مُسْلِمًا؟ قَالَ: لا. قال: فأيُّ شيء أنت؟ قال: نصراني، ولكني أساريني في النصرانية إلى التوكل، وادعتْ نَفْسِي أَنَّهَا قَدْ أَحْكَمَتْ حَالَ التَّوَكُّلِ، فَلَمْ أصدِّقها فيما ادعتْ، حتى خرجتُ إلى هذه الْفَلاةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَوْجُودٌ غَيْرَ الْمَعْبُودِ، أُثِيرُ سَاكِنِي، وَأَمْتَحِنُ خَاطِرِي. فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ وَمَشَى. وَقَالَ: دَعْهُ يَكُونُ مَعَكَ. فلم يزل يسايرُنا إلى أن وافَينا بطنَ مُرّ، فقام إبراهيمُ ونزعُ خَلقاتِه، وطهَّرها بالماء، ثم جلس، وقال له: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: عَبْدُ الْمَسِيحِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ! هَذَا دَهْلِيزُ مَكَّةَ، وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ على أمثالِكَ الدخولَ إليه، وقرأ: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلا يَقْرَبُوا

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بعد عامِهم هذا}، وَالَّذِي أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَكْشِفَ مَنْ نَفْسِكَ فَقَدْ بَانَ لَكَ، فَاحْذَرْ أَنْ تَدْخُلَ مَكَّةَ، فَإِنْ رَأَيْنَاكَ بِمَكَّةَ، أَنْكَرْنَا عَلَيْكَ.

قَالَ حَامِدٌ: فَتَرَكْنَاهُ، ودخلْنا مكةَ، وخرجْنا إلى الموقِف، فبينا نَحْنُ جُلُوسٌ بِعَرَفَاتٍ، إِذَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ، وَهُوَ مُحْرِمٌ يَتَصَفَّحُ الْوُجُوهَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْنَا، فَأَكَبَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا وَرَاءَكَ يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ؟ فقال: هيهات، أنا اليومَ عبدُه، والمسيحُ عَبْدُهُ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: حَدِّثْنِي حَدِيثَكَ.

قَالَ: جلستُ مكاني حتى أقبلَتْ قافلةُ الحاج، فَقُمْتُ وَتَنَكَّرْتُ فِي زِيِّ الْمُسْلِمِينَ كَأَنِّي مُحْرِمٌ، فساعةَ وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى الْكَعْبَةِ، اضْمَحَلَّ عِنْدِي كُلُّ دِينٍ سِوَى الإِسْلامِ، فَأَسْلَمْتُ، وَاغْتَسَلْتُ، وَأَحْرَمْتُ، وَهَا أنا أطلبُك يومي. فالتفتَ إلينا إبراهيمُ وقال: يا حامدُ! انظرْ إلى بَرَكَةِ الصِّدْقِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ كَيْفَ هَدَاهُ إِلَى الإِسْلامِ؟ وَصَحِبَنَا حَتَّى مَاتَ بَيْنَ الفقراء[1].

توبة عابد صنم وإسلامُه

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: عَصَفَتْ بِنَا الرِّيحُ عَلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، فَإِذَا بِرَجُلٍ يَعْبُدُ صَنَمًا. فَقُلْنَا لَهُ أَيُّهَا الرَّجُلُ مَنْ تَعْبُدُ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الصَّنَمِ، فَقُلْنَا لَهُ

[1] انظر: مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي.

إِنَّ مَعَنَا فِي الْمَرْكَبِ مَنْ يَعْمَلُ هَذَا، قَالَ فَأَنْتُمْ مَنْ تَعْبُدُونَ؟ قُلْنَا نَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى، قَالَ وَمَنْ هُوَ؟ قُلْنَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ، وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ، وَفِي الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ قَضَاؤُهُ. قَالَ: كَيْفَ عَلِمْتُمْ هَذَا؟ قُلْنَا وَجَّهَ إِلَيْنَا رَسُولًا أَعْلَمَنَا بِهِ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ الرَّسُولُ؟ قُلْنَا قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ[١]، قَالَ فَهَلْ تَرَكَ عِنْدَكُمْ عَلَامَةً؟ قُلْنَا: تَرَكَ عِنْدَنَا كِتَابَ الْمَلِكِ، قَالَ أَرُونِيهِ، فَأَتَيْنَاهُ بِالْمُصْحَفِ فَقَالَ مَا أَعْرِفُ هَذَا، فَقَرَأْنَا عَلَيْهِ سُورَةً وَهُوَ يَبْكِي، ثُمَّ قَالَ يَنْبَغِي لِصَاحِبِ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ لَا يُعْصَى، فَأَسْلَمَ.

وَحَمَلْنَاهُ مَعَنَا وَعَلَّمْنَاهُ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَسُوَرًا مِنْ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ صَلَّيْنَا وَأَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَقَالَ يَا قَوْمُ! الْإِلَهُ الَّذِي دَلَلْتُمُونِي عَلَيْهِ أَيَنَامُ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ؟ قُلْنَا لَا يَا عَبْدَ اللَّهِ هُوَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، قَالَ بِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ تَنَامُونَ وَمَوْلَاكُمْ لَا يَنَامُ، فَعَجِبْنَا مِنْ كَلَامِهِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَبَادَانَ جَمَعْنَا لَهُ دَرَاهِمَ وَأَعْطَيْنَاهَا لَهُ وَقُلْنَا لَهُ أَنْفِقْهَا، قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَلَلْتُمُونِي عَلَى طَرِيقٍ لَمْ تَسْلُكُوهُ، أَنَا كُنْت فِي جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ أَعْبُدُ صَنَمًا مِنْ دُونِهِ فَلَمْ يُضَيِّعْنِي فَكَيْفَ الْآنَ وَقَدْ عَرَفْتُه، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ لِي: إِنَّهُ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَجِئْتُه وَقُلْتُ أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: قَدْ قَضَى حَوَائِجِي مَنْ عَرَّفْتَنِي بِهِ. فَبَيْنَمَا أَنَا أُكَلِّمُهُ إِذْ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْت فَرَأَيْت فِي الْمَنَامِ رَوْضَةً

---

[١] صلى الله عليه وسلم.

وَفِي الرَّوْضَةِ قُبَّةٌ وَفِيهَا سَرِيرٌ عَلَيْهِ جَارِيَةٌ أَجْمَلُ مِنْ الشَّمْسِ تَقُولُ: سَأَلْتُك بِاَللَّهِ عَجِّلْ عَلَيَّ بِهِ، فَانْتَبَهْتُ فَإِذَا بِهِ قَدْ مَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَجَهَّزْتُه لِقَبْرِهِ ثُمَّ رَأَيْتُه فِي الْمَنَامِ فِي الْقُبَّةِ وَالْجَارِيَةُ إلَى جَانِبِهِ وَهُوَ يَتْلُو {سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}[١].

توبة مجوسي وإسلامه وأهل داره

وقرأتُ في "الملتقط"[٢] أنَّ بَعْضَ الْعَلَوِيِّينَ كَانَ بِبَلْخٍ، وَلَهُ زَوْجَةٌ عَلَوِيَّةٌ[٣]، وَلَهُمَا بَنَاتٌ، فَافْتَقَرُوا وَمَاتَ الرَّجُلُ، فَخَرَجَتِ الْمَرْأَةُ بِالْبَنَاتِ إِلَى سَمَرْقَنْدَ خَوْفًا مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، فَدَخَلَتِ الْبَلَدَ فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ، فَأَدْخَلَتْهُمْ مَسْجِدًا، وَخَرَجَتْ تَحْتَالُ فِي الْقُوتِ، فَمَرَّتْ بِجَمْعَيْنِ: جَمْعٍ عَلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَهُوَ شَيْخُ الْبَلَدِ، وَجَمْعٍ عَلَى رَجُلٍ مَجُوسِيٍّ هُوَ ضَامِنُ الْبَلَدِ، فَبَدَأَتْ بِالْمُسْلِمِ، فَشَرَحَتْ لَهُ حَالَهَا، وَقَالَتْ: أُرِيدُ قُوتَ اللَّيْلَةِ، فَقَالَ: أَقِيمِي عِنْدِي الْبَيِّنَةَ أَنَّكِ عَلَوِيَّةٌ، فَقَالَتْ: مَا فِي الْبَلَدِ مَنْ يَعْرِفُنِي، فَأَعْرَضَ عَنْهَا، فَمَضَتْ إِلَى الْمَجُوسِيِّ، فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَهَا وَمَا جَرَى لَهَا مَعَ الْمُسْلِمِ، فَبَعَثَ أَهْلَ دَارِهِ مَعَهَا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءُوا بِأَوْلَادِهَا إِلَى دَارِهِ، فَأَلْبَسَهُمُ الْحُلَلَ الْفَاخِرَةَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ رَأَى

---

[١] انظر: الْمَوْرِدِ الْعَذْبِ لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَوَّحَ اللَّهُ رُوحَهُ.

[٢] كتاب (ملتقط الحكايات) لابن الجوزي.

[٣] من نسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذَلِكَ الْمُسْلِمُ فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، وَاللِّوَاءَ عَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا قَصْرٌ مِنَ الزُّمُرُّدِ الْأَخْضَرِ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ مُوَحِّدٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا مُسْلِمٌ مُوَحِّدٌ، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي الْبَيِّنَةَ بِأَنَّكَ مُسْلِمٌ مُوَحِّدٌ، فَتَحَيَّرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ: لَمَّا قَصَدَتْكَ الْعَلَوِيَّةُ، قُلْتَ لَهَا: أَقِيمِي عِنْدِي الْبَيِّنَةَ، فَكَذَا أَنْتَ أَقِمْ عِنْدِي الْبَيِّنَةَ، فَانْتَبَهَ يَبْكِي وَيَلْطُمُ، وَخَرَجَ يَطُوفُ الْبَلَدَ عَلَى الْمَرْأَةِ حَتَّى عَرَفَ أَيْنَ هِيَ، فَأَتَى الْمَجُوسِيَّ، فَقَالَ: أُرِيدُ الْعَلَوِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ: مَا إِلَى هَذَا سَبِيلٌ، قَالَ: خُذْ مِنِّي أَلْفَ دِينَارٍ وَسَلِّمْهُمْ إِلَيَّ، قَالَ: مَا أَفْعَلُ، قَدِ اسْتَضَافُونِي وَلَحِقَنِي مِنْ بَرَكَاتِهِمْ، قَالَ: لَابُدَّ مِنْهُمْ، قَالَ: الَّذِي تَطْلُبُهُ أَنْتَ أَنَا أَحَقُّ بِهِ، وَالْقَصْرُ الَّذِي رَأَيْتَهُ لِي خُلِقَ أَتُدِلُّ عَلَيَّ بِإِسْلَامِكَ[1]، وَاللَّهِ مَا نِمْتُ، وَلَا أَهْلُ دَارِي، حَتَّى أَسْلَمْنَا عَلَى يَدِ الْعَلَوِيَّةِ، وَرَأَيْتُ مِثْلَ مَنَامِكَ الَّذِي رَأَيْتَ، وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْعَلَوِيَّةُ وَبَنَاتُهَا عِنْدَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَالَ: الْقَصْرُ لَكَ وَلِأَهْلِ دَارِكَ، وَأَنْتَ وَأَهْلُ دَارِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، خَلَقَكَ اللَّهُ مُؤْمِنًا فِي الْأَزَلِ[2].

---

[1] يعني تجترئ وتفخر.

[2] انظر: البر والصلة لابن الجوزي.

توبة طبيب نصراني محسن وإسلامه

وروي أنَّ بعضَ مشايخِ الصوفيةِ خرج على أصحابِه وكانوا أربعين رجلًا وقد أقاموا ثلاثةَ أيامٍ لم يُفتحْ لهم بطعام فقال لهم: يا قوم إن الله قد أباح التسببَ للعباد فقال تعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} فانظروا من يخرج منها فليأتنا بشيء.

فخرج فقيرٌ فمشى في جانبيْ بغدادَ فلم يجد من يسألُه في شيء، فأخذه الجوعُ والتعبُ فجلس على دكانِ طبيبٍ نصرانيٍّ والناسُ عليه خلقٌ عظيمٌ يصف لهم الدواء.

فقال له النصرانيُّ: ما بكَ؟ فلم ير أن يشكو إلى نصرانيٍّ حالَه بل مدَّ يدَه إليه فمسَّ يدَه فقال النصرانيُّ عند ذلك: هذه علةٌ أنا أعرفُ دواءها؛ يا غلام! امضِ إلى السوق وائتني برطلِ خبزٍ ورطلِ شواءٍ ورطلِ حلواءَ. فقال الفقير: فهذه العلة بأربعين رجلًا، فقال: يا غلامُ ائتني بأربعين مثلَ ذلك.

فأتى الغلامُ بذلك فسلَّمه النصرانيُّ إلى الفقير وقال: خذْه لمن ذكرتَ.

فأخذ معه الحمَّال ومضى معه إلى الدويرة.

وقام النصراني يختبرُ صدقَ الفقيرِ، فلما أتى الدويرةَ وقف خارجًا منها خلفَ طاقٍ حتى دخل الفقيرُ فوضع الطعامَ واجتمع الشيخُ والفقراءُ وقدَّموا الطعامَ،

فأمسك الشيخُ عن الطعام وقال: يا فقيرُ! ما قصةُ هذا الطعام؟ فحكى له القصةَ بكمالها.

فقال الشيخُ: أترضَوْن أن تأكلوا طعامَ نصرانيٍّ وصَلَكم به دونَ مكافأة؟ قالوا: ما مكافأتُه؟ قال: تدعون اللهَ له قبل أكلِ طعامِه بالنجاةِ من النارِ؛ فدَعَوا له وهو يسمعُ.

فلما رأى النصرانيُّ إمساكَهم عن الطعام مع حاجتِهم إليه وسمع ما قال الشيخُ قرعَ البابَ ففتح له ودخل وقطع الزنارَ وقال: أَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

تم كتاب

التوبة وقصص التوابين

ولله الحمد والمنة

المحتويات

تمهيد ٢
الكتاب الأول: التوبة لابن أبي الدنيا: ١٢
الشَّيْطَانُ دَاعٍ إِلَى الْمَعْصِيَةِ ١٢
الذَّنْبُ لَا يُنْسَى ١٣
احْذَرْ صَغَائِرَ الذُّنُوبِ ١٣
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ ١٤
التَّوْبَةُ تُخَلِّصُكَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ ١٤
النَّدَمُ تَوْبَةٌ ١٥
الْحَجَّاجُ والتَّوْبَةِ ١٥
الشُّعَرَاءُ والتَّوْبَة ١٦
أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ ١٧
وقْتُ التَّوْبَةِ ١٧
رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ لِذُنُوبِهِمَا ١٨
كَفَّارَةُ الْقُبْلَةِ ١٩
أَوَّلُ رَجُلٍ قُطِعَ فِي الْمُسْلِمِينَ ١٩
مُجَادَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ٢٠
الْآيَاتُ الَّتِي يُغْفَرُ لِقَارِئِهَا ٢١
دُعَاءُ آدَمَ وَتَوْبَتُهُ ٢٢
أَفْضَلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ الْيَوْمَ رَجُلٌ ٢٢
الطَّابَعُ ٢٣
الذُّنُوبُ تَطْبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ ٢٣

تَضْعِيفُ حَسَنَاتِ التَّائِبِينَ ٢٤
إِنَّ اللَّهَ لَيُضَاعِفُ الْحَسَنَةَ ٢٤
وَصِيَّةُ رَجُلٍ مِنَ الْعُبَّادِ ٢٥
وَصِيَّةُ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ٢٥
أَكْبَرُ أَرْبَعِ كَبَائِرَ ٢٦
أَنْوَاعُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ٢٦
كَفَاكَ ٢٧
حَالُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٢٧
مُوسَى يَسْأَلُ رَبَّهُ ٢٨
الذُّنُوبُ أَهَمُّ ٢٩
الْقِصَاصُ فِي يَوْمِ الْخَلَاصِ ٢٩
الْعُصَاةُ أَمْوَاتٌ عَلَى الْأَرْضِ ٣٠
مَنْزِلَةُ التَّائِبِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ٣٠
أَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ ٣١
إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ ٣٢
أَمِرَّ أَعْمَالَكَ ٣٢
احْذَرْ مَكْرَ اللَّهِ ٣٣
أَدْوَى الدَّاءِ الذُّنُوبُ ٣٣
كَيْفَ تُكْرِمُ نَفْسَكَ؟ ٣٣
أَكْرِمْ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ رَبِّكَ ٣٤
وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ٣٤
مِنْ آثَارِ الْمَعْصِيَةِ عَلَى الْعَبْدِ ٣٤

ذُلُّ الْمَعْصِيَةِ ٣٥
الْخَضِرُ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٥
التَّوْبَةُ بِالْعَمَلِ ٣٥
دَاوُدُ يُنَاجِي رَبَّهُ ٣٦
إِنِّي أُذْنِبُ ٣٦
الذَّنْبُ يُصِرُّ عَلَيْهِ الْعَبْدُ ٣٧
عِظْنِي ٣٧
حَقُّ اللَّهِ ٣٧
احْذَرِ الْغُرُورَ وَالْعُجْبَ بِالنَّفْسِ ٣٨
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ٣٨
مَعَ الصَّالِحِينَ ٣٩
إِذَا ذَكَرْتُ الْخَطِيئَةَ ٣٩
عَلَى مِثْلِ هَذَا فَلْيُبْكَ ٣٩
آيَةُ مَغْفِرَةِ اللَّهِ لِلْحَاجِّ ٤٠
مِنَ الْكَبَائِرِ ٤٠
يُونُسُ الْمُسْتَغْفِرُ ٤٠
الْحَيَاءُ الْحَاجِزُ ٤١
دَارُ الْعَفْوِ ٤١
كَثْرَةُ أَسْتَارِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ ٤١
إِذَا أَرَادَ اللَّهُ لِعَبْدٍ فَضِيحَةً ٤٢
لَا يَهْتِكُ اللَّهُ عَبْدًا ٤٣
خَيْرُ رَجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا ٤٣

رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ٤٣
إذا طَهَرَ الْقَلْبُ مِنَ الْمَعَاصِي ٤٤
كَيْفَ تَصِلُ إِلَى مَغْفِرَةِ ذَنْبِكَ؟ ٤٤
أَعْرَابِيٌّ يَتُوبُ إِلَى رَبِّهِ ٤٤
حُكْمُ الْمُسْتَغْفِرِ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى الذَّنْبِ ٤٥
يَا أَيُّهَا الْخَالِي بِلَذَّاتِهِ ٤٦
قَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ ٤٦
الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ فِي الْقُرْآنِ ٤٧
الصِّرَاعُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالشَّيْطَانِ ٤٧
مِنْ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ ٤٨
قليلُ النظر ٤٨
أنفعُ الحياء ٤٩
بائعُ طاعة الله ٤٩
أحراسُ الله لك ٤٩
لَقَدْ أَمْهَلَكَ وَلَمْ يُهملْكَ ٤٩
أَوَّلُ مَا فِي الزَّبُورِ ٥٠
يَبْكِي حَتَّى الصَّبَاحِ ٥٠
مُحَمَّدُ بْنُ سُوقَةَ يَتُوبُ تَوْبَةً نَصُوحًا ٥١
مَنْ ظَلَمَنَا، وَمَنْ ظَلَمْنَاهُ ٥١
لَا يَتَكَلَّمُ فِي السَّنَةِ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا ٥٢
أَعْمَالٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ ٥٢
هَلْ فِي الذُّنُوبِ مُكَفِّرَاتٌ؟ ٥٣

النَّصِيحَةُ لَا الْفَضِيحَةُ ٥٣
إِيَّاكَ وَإِعَانَةَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكَ ٥٤
حَالُ مَنْ ذَكَرَ خَطِيئَةً عَمِلَهَا ٥٤
مَتَى يُعْصَمُ الْعَبْدُ مِنَ الذُّنُوبِ؟ ٥٥
ساعات الغفلة والذنوب ٥٥
مَا سَبَبُ الذَّنْبِ؟ ٥٥
مَثَلُ حَدِيثِ النفس بِالْخَطِيئَةِ ٥٦
الذِّكْرُ ذِكْرَانِ ٥٧
وَهَنُ قَلْبِكَ مِنْ أَثَرِ ذَنْبِكَ ٥٧
أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمِسْكِ ٥٧
مِنْ مَوَاعِظِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٥٨
مَكْتُوبٌ فِي التَّوْارَةِ ٥٩
اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ ٥٩
مَثَلُ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ ٦٠
حَالُ الْإِنْسَانِ بَيْنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ ٦٠
تَوْبَةُ ثَلَاثَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٦١
الْأَوَّابُ الْحَفِيظُ ٦٢
تَوْبَةُ الْجُهَّالِ ٦٢
جَزَاءُ الْمَعْصِيَةِ ٦٢
إِذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عَبْدٍ ٦٢
جَالِسُوا التَّوَّابِينَ ٦٣
معنى {التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} ٦٣

وَدَّ الشَّيْطَانُ لَوْ ظَفِرَ مِنْكُمْ بِهَذِهِ ٦٤
عَاصٍ وَطَائِعٌ فِي آنٍ وَاحِدٍ ٦٤
صَحِيفَةٌ لَيْسَ فِيهَا اسْتِغْفَارٌ ٦٤
آخِرُ وَقْتٍ تُقْبَلُ فِيهِ التَّوْبَةُ ٦٤
اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ٦٥
هَلْ تَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ؟ ٦٦
مَتَى تُرَدُّ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ؟ ٦٦
مِنْ أَحْوَالِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ٦٧
تَعَالَوْا مِنْ قَبْلِ أَنْ نُدْرِكَ الْكِبَرَ ٦٧
مَتَى تَنْزِلُ الْمَغْفِرَةُ؟ ٦٨
كَانَ يَدْعُو عَلَى الْخَطَّائِينَ ٦٨
عَلَامَ الْغُرُورُ وَهَذَا شَأْنُكَ؟ ٦٨
مَجْلِسُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ٦٩
أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحَافِظَيْنِ ٦٩
ثَلَاثَةٌ لَا يُلَامُونَ ٧٠
إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُكَ مَاذَا تَفْعَلُ؟ ٧٠
لَا إِصْرَارَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ ٧١
لَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ ٧١
مِنْ فَضَائِلِ الِاسْتِغْفَارِ ٧٢
أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؟ ٧٢
كَيْفَ تُحَسِّرُ الشَّيْطَانَ؟ ٧٣
أَنَا غَفَّارٌ وَابْنُ آدَمَ خَطَّاءٌ ٧٣

كَيْفَ تُدَاوِي ذُنُوبَكَ؟ ٧٤
مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلشَّابِّ التَّائِبِ ٧٤
حَالُ جَرَائِمِ التَّائِبِينَ ٧٥
مَتَى يَكُونُ الذَّنْبُ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ؟ ٧٥
احْذَرْ أَنْ تُبْطِلَ عَمَلَكَ ٧٥
رَجُلٌ يَبْنِي وَيَهْدِمُ ٧٦
فَضْلُ الْبُكَاءِ عَلَى الْخَطِيئَةِ ٧٦
شُؤْمُ الْمَعْصِيَةِ وَبَرَكَةُ الطَّاعَةِ ٧٧
تَفْسِيرُ الرَّانِ عَلَى الْقَلْبِ ٧٧
من هم الأوابون؟ ٧٨
قَالُوا لِجُلُودِهِمْ ٧٩
الكتاب الثاني قصص التوابين لابن قدامة. ٨٠

المراجع

قلت في المقدمة إنني اعتمدت في جمع مادة هذا الكتاب على مصدرين اثنين هما:

كتاب (التوبة) لابن أبي الدنيا

كتاب (التوابين) لابن قدامة

نسخة (الشاملة)

للمراسلة والتواصل:

محمد علي حسين

mali_١١١@hotmail.com

الكويت تليفون ٩٨٨٦٦٩٠٣

مصر تليفون ٠١٠٩٩٦٩٤١٤٠

تعريف

- محمد علي حسين (أبو زهرة)

- لُغوي وباحث في التراث الإسلامي

- موجِّه في مادة اللغة العربية - مواليد نبروه — مصر ١٩٦٢م

- مهتم بنشر التراث في سلسلة صدر منها أربعة وعشرون عملاً، جمعاً ودراسة واختصاراً وتحقيقاً، هي: (هذا نبينا كأننا نراه - دولة بني العباس - دولة بني أمية - الثائران: الحسين وابن الزبير - معاويةُ كِسْرى العرب — خلافة علي بن أبي طالب - خلافة ذي النورين عثمان بن عفان - خلافة الصِّدِّيق والفاروق - محمد رسول رب العالمين - - عليٌّ ومعاويةُ يومَ صِفِّين - الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر - التعازي والمراثي للمبرِّد - محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني - الداء والدواء لابن القيم - أخبار الحمقى والمغفَّلين لابن الجوزي - النساء لابن قتيبة - بهجة المجالس لابن عبد البر - تهذيب تاريخ ابن خياط - مختصر زاد المعاد — قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد — العواصم من القواصم لابن العربي — حقوق آل البيت في مفهوم ابن

تيمية – الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي – مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: "علماء معاصرون نصروا الإسلام"، وكتاب "غرباء".

وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).